البوذية

وتأثيرها في الفكر والفرق الاسلامية المتطرفة

تأليف
محمد علي الزعبي
علي زعور

المقدمة والاناشيد الفيدانتية
المعلم
كمال جنبلاط

BP
173
.B9
Z83
1964

محمد علي الزعبي
دكتور بالفلسفة

علي زيعور
ليسانس بالآداب

البـــوذية

وتأثيرها في الفكر والفرق الاسلامية المتطرفة

كتب المقـــدمة وترجم الأناشيد
المعـــلم

كمال جنبلاط

طبع ونشر وتوزيع مطبعة الانصاف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين والناشر

صدر عام ١٩٦٤

منشورات مطبعة الانصاف

هاتف : ٢٣٠٠٦٨ و٢٣٩٥٦٤

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الإهداء

الى السائرين نحو التكامل الخلقي والصفاء الذاتي .

الى الذين ينشدون حياة مزجت السعادة بالفضيلة والخير بالفرح والعيش الوادع بالطمأنينة الاخلاقية .

الى كل قلب ممتلىء نعمة ومحبة .

الى الذين يأملون الوداعة الذاتية والراحة النفسية .

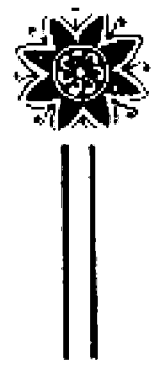

القسم الاول

بـــوذا

حيـاته ودينـه

(إذا بحثت شئوونك يا بوذا ، دنوت منك باحترام ورهبة)

ريناله

الفيلسوف الفرنسي

مقـــدمة

البـوذا السعيـد

بقلم المعلم كمال جنبلاط

للبوذية وجهان ككل شريعة

— وجه خارجي ، وهو ما اتخذه لانفسهم التلامذة والاتباع والانصار من الايحـــاآت والتصورات النفسية ، والمثالات المعتقـدية ، والمسالك التطهيرية ، وطرق التأمل والعبادات ، في المعنى الواسع والضيق للكلمة على السواء . فكانت الفرق البوذية الثلاث الكبرى المنتشرة في مختلف اصقاع جنوبي آسيا وبلاد التيبت والشرق الاقصى وسواها من البـــلدان ، ونعني بهذه الفرق او المذاهب : المسلك الكبير والمسلك الصغير واللاموية .

Le grand véhicule, le petit véhicule, le lamaisme.

— وللبوذية وجه آخر داخلي صميم ، اذا استطعنا هذا التعبير ، لا يبين للذي وضع نفسه في نور البوذا ذاته ، « المستيقظ » على حد ما كان يجب ان يسمي نفسه ، اي الذي استيقظ من سبات الجهل ومن تعاقب الحالات الثلاث التي يمر بها الانسان في حياته العادية ، ومن دورة الولادات والموت التي تتلاحق بدون نهاية .

وهذا النور في اكتناه شخصية البوذا — اذا كان تبقى هنالك اثر لاية شخصية في هذا الذي تعدى كل فردية وكل شخصية وكل ثنائية — لا يمكننا استيعابه الا من خلال التراث الروحي الذي عاش البوذا من ضمنه ، قبل ان يبلغ التحرر ، او من خلال الذين هم على مثاله وشاكلته تماماً وكمالا ، والذين حققوا هذا التراث الغالي — كالجوهرة الفريدة او كعنقاء مغرب — في نفوسهم وفي استعلائهم وفي حياتهم ، فلم يعد لهم من ذواتهم نفس ولا

استعلاء ولا حياة الا في هذه اليقظة المباركة وبها ومنها .. وهؤلاء هم هذه السلسلة العجيبة من الحكماء او المتحققين ، او المستنيرين او المستيقظين — سمهم ما شئت — الذين هبطوا الينا من اعمق ظلمة التاريخ حتى ايامنا هذه ، كمن يدرك في قربه اللاهوت في الناسوت الظاهر ، او كمن يبصر جوهره تعالى في جوهر مرآة نفسه ، وحيث لا يعود هنالك نفس ولا اثر لوجود منفصل . وانما يقظتنا هي من يقظته ووجودنا من وجوده ونعيمنا من نعيمه . فالتحقق — Réalisation — شيء ، والدين هو شيء آخر . وانما الدين يصبو احياناً الى التحقق ، ولكنه قد لا ينتهي اليه .

كان « المعلم العظيم » — والعظمة صفة بالنسبة الينا لا تقترب من حقيقته — يلقب البوذا بالمولى ، تأكيداً منه انه كان مظهراً من تلك السلسلة الذهبية العجيبة ، على انه عرفه عامة الناس ، بينما لا يعرف المتحقق عادة الا الخواص من الذين جذبهم هو اليه بسحر النور الخفي والشعاع الباطن ، لانه هو اختارهم وهم اختاروه قبل ان يعرفوه .. وتقول الاوبانيشاد في هذا المعنى .. « كلا ان هذا الاتمان » — جوهر الله — لا يُكتنه بالعقيدة ولا بتقديم الاضاحي ولا بتعاليم كثيرة .. لا يكتنهه الا الذي هو (اي الاتمان) اختاره « بنعمة المعرفة » ..

البوذا هو المستنير ، هو المستيقظ هو المتحقق ، على اقرب ما يمكن تأكيده ، لاننا لا نعلم عن حياته الروحية وصلاته بالحكماء والمعلمين ، الا شيئاً قليلا من خلال ما نقل الينا من قصص واساطير وتعاليم .

وفي كل مرة يبرز التحجر في المعتقد وتطغي الطقوس ويتجمد سحر الآلهة في النفوس ، وتستوطن القلب الخشية والعبادة لاجل مصالح الدنيا ومباهج الآخرة ، لا توق المعرفة ونشوة الحقيقة ، فيتيه البشر في غوائل تصوراتهم وتخيلاتهم وافكارهم ، يظهر من السلسلة الذهبية العجيبة شخص ، في الظاهر كمثل سائر البشر ، ولكنه يحمل في نفسه وديعة الاجيال المقدسة

تشع من جسده وفكره وارتسامات وجهه كتموجات الاثير وكتحركات الهيولي في انفراج البعث الاول . وكل يرتفع اليه ومن خلاله وبواسطته على قدر صفاه وعلى قدر توقه للتجلي وللمشاهدة ...

والكثرة تتبعه في انسياق الغريزة الرفيعة دون علمها بحقيقة ذلك البهاء ، فتتأمل وتتعبد وتصلي وتسجد وتستشعر وترقص احياناً من الفرح . واي فرح يعادل الخلاص ويعادل المعرفة ؟

على ان اعظم هؤلاء الرجال واقدرهم يمرون صامتين مستترين ، على حد تعبير فيفكنندا ، لا يكشفون عن حالهم الا لبعض الذين يطلبونهم في التياع المجاهدة وحسرة عذاب الغيبة عن المعرفة .. فهم الأولى الذين استكان الحق في نفوسهم وجعلهم في الظاهر منزلا حياً على الارض دون سائر المساجد والكنائس والهياكل . وهذا هو الكشف الحقيقي لا كشف ابناء الباطن .

فالبوذا ، ونستطيع فهمه فقط على ضوء ما استنار به لا على ضوء ما انار به العالم من تعاليم . لان التعليم السري الحقيقي الوحيد ظل مختبئاً فيما تكدس عليه من شروح منسوبة وتعاليم معلنة فيما بعد ، الا في بعض ما يلمح اليه احياناً هنا وهنالك ، كسطوع البرق من وراء الغيوم المتلبدة الكثيفة .

وانما اليقظة هي جوهر الله ، بها نرى وبها نستضيء .

★ ★

ايقظ المؤمنين من غفوة الجهل ومن غفلة سحر الانجذاب الى ما ليس هو والذي هو هو في حقيقته في كل حال ، وقرّب المسلمين من كل دين .

— وانما بداية سلم الانقشاع هي في الرضى والتسليم ، بعد ان يضيع الناسوت او يجد ذاته في جوهر اللاهوت .

والاسلام الحقيقي هو دين كل كتاب .

★ ★

اننا لم نطلع تماماً على جميع ما ورد في هذا المؤلف .. على اننا على يقين ان الوحدة تبرز في جميع الاديان ، ولا نجدها فيها الا عندما نتعداها .

بهذه الروح المتفهمة المنفتحة يكتب شيخنا وصديقنا الاستاذ محمد علي الزعبي ، ونشعر ان بهذه الروح ايضاً يعيش اخ لنا كريم هو الاستاذ علي زيعور ، عله يكون في بداية سلم المرقاة ، لانه يتحسس بضرورة التفتيش عن الحقيقة .

انما الشيء الوحيد الذي يستأهل منا الحياة هو السعي الى الحقيقة . فمن وجدها وجد ضالته ، ومن لم يجدها حُجب في نور الجنة او في نار جهنم .

كمال جنبلاط

مقـــدمة

صرخة حق في وجه الشر !

دعوة وداعة ومحبة في ليل الحقد والضغينة .

نور وضاح في دياجير الظلمة ...

في بدء اطلالة البشر على الدنيا بمتاعبهـــا وآلامها ، عند الفجر ، فجر العالم الانساني وقف مؤذن ينادي للقداسة ، ويدعو للتطهير ، ويبحث عن الحقيقة ويبحث عن الخلاص ، فوجد الحقيقة وادرك مشكلة الألم والموت وعرف سر الحياة وبلغ المطلق والكمال ، غاية الوجود البشري .

واندغم الخلق النبيل باللذة الدائمة .

فكانت نفس بلا ازدواجيات وتناقضات داخلية ، بلا عراك وخـلاف بين الاهواء والغرائز ، بين الميول والعقل كان ذلك في هنيهة خلود بشري انبجست في نسيج الفناء والوهم كان ذلك هو بوذا الأمين .

بوركت يابوذا ، نبي التسامح والمحبة والخير .

★ ★ ★

المكتبة العربية فقيرة بالكتب التي تبحث في حضارة الهند وتاريخهـــا وفلسفاتهـا ، فالهند عالم قائم بذاته ، نمت فيه بذور الفلسفات المختلفة منذ القدم ، فهناك مثلا عرف الفكر البشري فكرة الكائن الاحد الدائم الشامل المتخفي وراء ظواهر الكون المتغيرة .

أما الفنون الهندية او بكلمة واحدة ، الحضارة الهندية بوجه عام ، فهي ذات قيمة عريقة أصيلة ، لها طابعها الخاص الراقي ، وكذا الحكمة الهندية الرفيعة ، التي قلّ مثيلهـا في العالم قاطبة ، بسموها وشمولها ومعرفتها العميقة بالطبيعة البشرية ...

أما الحـديث عن الاديان الهندية فأمر متسع الجنبات متفرع النواحي إذ أن الهند تتصف بتعـدد « الأنبياء » الصالحين او النساك الداعين لاصلاح النفس وتطهيرها من الادران والرذائل ، ناهيك بأن الحكماء الراشدين كانوا يتوافدون باستمرار يعلمون النـاس الحكمة والرشـد والطرق المؤدية الى الخلاص والتحرر ...

من هؤلاء بوذا ، وسنرى ان ما حول ولادته وحياته ووفاته من القصص والاخبار التي تشابه من قريب أو بعيد ما يعرف في القصص الشعبية الـتي يرددها وجدان الجماهير ، بل ان هناك وجهة نظر اسلامية ترى في ان بوذا نبياً وان لم يرد اسمه في القرآن الكريم الذي لم يتحدث عن جميع الأنبياء والرسل كما تقول الآية الكريمة : « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص » ومن ناحية ثانية هناك رأي أو ابحاث عـديدة تدور حول بعض الشبه أو ما يزعم انه شبه بين الانجيل المسيحي والبوذي ، على كل حال مما لاشك فيه ان بوذا من عباد الله الصالحين ومن ابناء البشرية الافذاذ الذين لا ينكر أثرهم في السير الحضاري والتاريخ الديني والفكري للعقل والأمم .

* * *

وقد اعتمدنا في القسم الاول الذي نقدمه للقاريء ، بعض الاعتماد على ماترجمه بيار برنادو الفرنسي عن الاسبانية ومن ميزات هذا الكتاب تقسيمه الى فصول وآيات منسقة في اسلوب رائع ولغة سهلة مبسطة انسانية الشكل ، ربيعية زاهية . وذلك هو اسلوب الكتابة الصوفية أو الصياغة العامة التي تبدع الهند في اجادتها . كما اننا اخترنا نفس الاسلوب لعرض افكار ومباديء بوذا وشرح فلسفته وعقيدته في خطبه وأحاديثه طوال حياته وابان تطوافه وتجواله في بلاد الهند الفسيحة . والحقيقة ان ذلك الأمير الذي تخلى عن العرش ليجوب الآفاق ويعيش من صدقات الكرماء ، ويحيا حياة الرهبان الفقراء كان ذا

تأثير عميق على ابناء جلدته بسيرته ومسلكه اكثر مما فعله بخطبه وارشاداته

لذا وكي نفهم رسالته وغنى تعاليمه ودعوته لاغنى لنا عن تتبع مراحل حياته بالذات والجوانب التي مرّ بها ، فقد كان يشع على مريديه وكانت نفسه تتألق بالخير والصفاء فتنير نفوس المؤمنين . كان غريباً ذلك التعاطف الذي يحدث بين المعلم وتلاميذه ، وكان عميقاً ذلك التجاوب بينه وبين الذين يدعوهم لدينه فسرعان ما يؤمنون به ويتبوذون .

يقال بحق ، ان القديس لايعلّم انما يحيا رسالته ويسير ويسلك طرق دعوته فيقتدي به الناس ويتأثرون بخطاه وعيشته .

ان البوذية ، العقيدة الحية لخمس مائة مليـون بشري ، ليست فلسفة ولا علماً ولا هي دين بالمعنى الخاص للكلمة ، انها طريقة خاصة في العبادة السامية المترفعة عن الشكليات وما جمد في طقوس ميتة وحركات رتيبة . كلما سما الدين وحلق ، وكلما عمق ايمان المتدين وسلم من الادران ، اصبح تصوفاً وروحانيات وبعداً عـــن القواعدية المرسومة والخطاطات المحنطـة والحركات الجسدية وغيرها من الحسيات الملموسة الرتيبة .

ان البوذية هي نظام حياة ، او اسلوب حياتي رائع يملأ القلب وداعة ونعمة ويفعم النفس محبة وطهراً ويشرق على الذات فيضاً نبيلا من الروحية والتجاوز الخلقي او التسامي . ان غـاية البوذية هي تلك الحـالة النفسية المتزنة بل التامة الاتزان وقد عرفها العرب الاقدمون في شكل التصوف الاسلامي خاصة وفلسفة المعري مثلا وغيره كما سنرى في القسم الثاني من هذا الكتاب . أما تلك القمة او الجنة الارضية التي يصل اليها الممارس اي المتدين فهي بالفعل حالة السمو والتسامي والقوة والصلابة الداخلية التي يقال انها من العلوم اللدنية او العلوم الـتي لا تشرح وتفسر وانمـــا تُفهم

وتحس بالذوق والحال ، وقديماً قال احد المتصوفة في وصف تلك الحالة :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غـــدا بالروح يشريه

والحقيقة ان ما قاله هذا ما يزال صحيحاً حتى اليوم ، فالبوذية كطريقة في مواجهة الحياة او كطريقة في التعبـد والوصول الى المطلق والاتصال بالذات العليا ، نفهمها ونتذوقها اكثر من قدرتنا عـلى تعليلها وتحليلها اذ انها شيء يمس ذات الانسان الداخلية بل ماهو اسمى واكثر الامور داخلية في الانسان .

المؤلفان

●●●●●●●

الفصل الاول

الفجر

على اكتاف السفح الجنوبي لجبال هملايا ، عند اقدام جبل غوريسنكار المسمى اليوم جبل افرست .

في النيبال

كانت تعيش اسرة السكيا الغنية ، وكان السكياويون ، حكام مملكة كبيلافستو ، ينتمون الى طبقة الكشاتريا أي المحاربين ويتحدرون من سلالة الغوتاميين ...

١ — يقال انهم نزحوا الى النيبال قادمين من بلاد سيثيا الممتدة على شمال شرقي جزيرة القرم عند شواطيء بحر آزوف . أو انهم من سكان الهند الاصليين إن لم يكونوا قد أتوها من بلاد فارس .

* * *

٢ — في عهد الملك كوسولا ، كان لهذه الأسرة أمير يدعى سوذودانا وهو أمير كريم معتبر يحترمه قومه ويلقبونه بالمعتز . وكان للمعتز هـذا امرأة جميلة جداً هي مايادفي ابنة الملك سوبرا .

كانت مأيادفي [1] ذات جمال أخاذ ، رائعة الحسن حتى لقبت بسبب فتنتها الخارقة بالوهم أي المايا . الى جانب ذلك كانت صاحبة مزايا حميدة وذكاء نادر وتقى وورع مما جعل اسمهـــا يشتهر ويذيع في اطراف البلاد وصار الناس يبجلونها ويقدسونها ويحبونها حباً جما ...

٣ — وانقضت اعوام واعوام من السعادة والرفاه على الأمير سوذودانا وزوجته مايا شفي .

٤ — ذات صباح ، عند ما كانت شمس الخريف تشرق على الارض وتهديها

---

(١) او ماغاشفي في بعض الكتب .

النور والبسمات كانت مایاشفي تودع ليلة من ليـالي الخلوات ـ الليالي التي ينعزل فيها المؤمنون عدة مرات في الشهر ـ لنيل الاستحقاق والنعمة .

في ذلك الصباح الخريفي الجميل ، راحت مایاشفي تروي لزوجها حلم ليلتها الراحلة : رأت في منامها العذب ان الله قد حل في احشائها في شكل فيل أبيض كالفضة مسربلٍ بهالة بهيجـة من الذهب الوهاج ويحمل في خرطومه زهرة لوطس ريانة .

ثم ، دون ان يقرع الباب ، دخل غرفتها أربعة ملوك واقتربوا من سريرها ورفعوه برفق وعناية حتى خيل اليها انها تنام على مخدة من الغيوم ، وحملوها في الفضاء حتى رؤوس جبال الهملايا حيث تركوها تحت افياء شجرة فينانة

ثم ... تقدم منها اربع ملـكات رائعات يحملن في ايديهن صناديق مملؤة بزخارف الثياب النفيسة الزاهية الالوان وقدمن اليها الثياب لترتديها . وهي ابان ذلك كأنها مرتاحة في بلاط يتلألأ بنور أَلِق تبدو ازاءه الشمس الساطعة معتمة والبدر المنير باهتاً وكان الندى كاللؤلؤ يغطي أوراق الأزاهير ، وكانت رفوف العصافير تصفق فوق الخمائل شادية مغردة .

وتفتحت اكمام ازهار اللوطس فوق سطوح الأحواض الرائعة البهـاء وآلات الطرب تعزف الحاناً وانغاماً شجية .

ثم ايقظها من حلمها تغريد عصفور .

٥ ـ ودعا الامير السحرة والمنجمين ليفتوه عن معنى الحلم العجيب . وقال كبيرهم للأم : لا تقلقي وقري عيناً ، ان حلمك دلالة على نبأ سعيد سوف تلدين ابناً يحكم الارض ويسيطر عـلى نفوس البشر بالمحبة والرأفة ويكون ملك الملوك بالعطف والالفة لا بالقوة والجبروت .

وتابع كبير المفسرين : سوف يهجر بيته ويتخلى عن الدنيا ، ويصبح بوذا فيمزق حجب الجهل ويقرب يوم الخلاص .

ثم قدم الامير والسحرة آيات الولاء والاحترام للاميرة الحامل .

★ ★ ★

٦ — ومضت شهور وانقضى الربيع .

٧ — وعندما شعرت مايا شفي باقتراب الوضع رجت زوجها ان يسمح لها بالذهاب لمنزل اهلها .

وفي الطريق ، في احدى خمائل ضواحي قرية لومبيسي قرب كبيلافستو شعرت بآلام الوضع .

وفي خيمة من الاشجار التي تعانقت لتظللها وفوق بساط من الاعشاب اللدنة التي شكلت للسيدة سريراً رفيقاً ليناً وضعت طفلها بينما كانت تمد ذراعها لتهز شجرة البانيان (١) القريبة .

وكان الطفل جميلا ذا سحر وروعة ، وراحت العصافير تهب وتهرع لتأمله . وكان مرتدياً جلباباً من الحرير الرقيق الناعم ، وقد هبط الارض وكأنه ينزل عن عرش ثم سار نحو كل جهة من الجهات واعلن انه سيعيش حتى آخر مرحلة من مراحل تناسخه .

بعد ذلك جلس على زهرة لوطس بيضاء انبجست في نفس المكان الذي كان اول موطيء لقدمه اليسرى (٢)

٨ — وشاع النبأ السعيد بسرعة وهرع الزوج لمشاهدة الام وبرفقته السحرة والمنجمون .

---

(١) اي شجرة الحكمة ويقال ان الولادة تمت عند جذع تينة ، ويبدو ان قصة مولد بوذا على هذا الشكل جزء من الايمان البوذي الراسخ .

(٢) من الروايات التي تحيط بمولد بوذا وسوف نبقي على مثلها في خلال سردنا لمراحل حياة الامير .

٩ ـ في تلك الايام ، وفي تلك الغابـــة بالذات كان القديس أسيتا يعيش حياة نسك صالحة ورهبنة وقد كان برهمياً ورعاً متديناً سمع في احدى لياليه اناشيد دينية وترتيلات في السماء ثم سمـع صوتاً يعلن مولد الطفل الذي سينقذ العالم .

عند ذلك هب الزاهد شطر الطريق الذي كانت ترشده اليـه العصافير والمؤدي الى كبيلافستو حيث اخبروه عن ميلاد الفرد من اسرة الغوتاميين .

★ ★ ★

١٠ ـ وامام سوذودانا قال أسيتا جئت ابارك المولود الجديد ثم حضن الطفل وباركه وقبله فامتلكه البكاء والنشيج فسأله الاب عـن سبب بكائه فاجاب : لا شيء يدعو لغير الاطمئنان فقد انجبت طفلا رائعاً سأعبده منذ اليوم عوضاً عن براهما .

وسوف تأتي جميع الآلهة وتـــترك معابدها لرؤيته وما بكائي إلا لأنني سأموت قبل ان يصبح ابنك « بوذاً » مستنيراً ، لن استطيع الاستماع لكلام هـذا المعلم الاكبر الذي ولد اليوم ياسوذودانا ، انه سيخلص البشر وسيكون لخير جميع المخلوقات .

سيكون كبرودة البحيرة على نار الشهوات ، لينشر غيوم المحبة والرفق التي تتدفق مطراً يطفيء لهيب الألم والعذاب ...

سوف يفتح ابواب الأمل المغلقة ويحرر مـــن ربقة العبودية كل الفقراء والمساكين والتعساء .

أما أنت ايتها الأم المفضلة من الآلهة والبشر فقري عيناً وسوف تصلين بدون ألم الى نهاية الألم بعد سبعـة ايام . ثم قفل أسيتا عائداً الى كهفه المتدثر بالصمت والهدوء .

وسموا الطفل سيذارتا ، وبقي على هـذا الأسم حتى اطلق عليه لقب السكيموني أي السكياوي المنعزل .

١١ — وتذكرت مایاشفي اقوال القديس فأرسلت تستدعي اختهـــا مهابرجابتي (١) لتقول لها ان الأم التي تضع البوذيساتفا ـ البوذا القادم ـ لايمكنها ان تلد بعده أو تذوق اللذة . يا اختاه ان قلبي مريض ، سأترك هذه الدنيا ومن عليها من الاحياء ، اوصيكِ بابني وزوجي ياحبيبتي .

وماتت مایاشفي في اليوم السابع . وصدقت نبؤة أسيتا .

☆ ☆ ☆

ورأى السحرة على جسد الطفل الاثنتين والثلاثين شارة (٢) التي يعرف بها البوذيساتفا .

وربت الصغير اخت امه التي صارت زوجة سوذودانا الثانية .

وكان جماله يزداد وذكاؤه ينمو وعقله يتسع ويكبر وكان دائماً موضع عناية الجميع واهتمامهم .

قص بوذا لاحد حواريه ان اباه هيأ له البرك والاحواض المائية الرائعة التي ازدانت بأزاهير اللوطس الزرقاء الحلوة والبيضاء الناصعة والحمراء الفاقعة التي تبهج النفس وتشرح الصدر وتكحل عينيه بأبهج المناظر واروعها ... الى جانب هذا كانت اجمل الثياب تجلب له من بناريس ويحيط بـه اقدر الخدم الساهرين على راحته والاعتناء بامره . كان له قصر من المرمر للصيف وآخر من القرميد للشتاء وثالث لفصل الامطار يقضي فيه اربعة شهور بين تسلية الراقصات ووداعة الموسيقى وافخم المآدب والحفلات . ويذكر عنه

---

(١) يطلق عليها البعض اسم برجابتي غوتامي .

(٢) ليس من حقنا حذف هـذه الاخبار أو التشكيك بها فهي من « المأثور » في البوذية ...

انه كان رؤوفاً بالخدم يعطيهم فوق ما يُدفع لهم ويطعمهم من طعامه .

★ ★ ★

١٢ ـ وسارت عجلة الزمن وراحت تدور وتدور ...

وبدت وكأنها لن تتحقق نبوءة المنجمين حين ولادته بانه سيترك العرش ويتخلى عن الامارة ليتنسك ويترهبن ، مما سر اباه وافعم قلبه بالامل .

لكن سيذارتا كان يقضي ايامه حزيناً حالماً ، وعكساً للمألوف ، لم يتزوج ولم يفكر ببناء اسرة رغم بلوغه العام الثالث والعشرين مما احدث القلق في نفس والده واوجس الخيفة والوجل في نفوس الحكماء من ان يتزهد قبل ان ينجب ولداً (١) لهذا ارتأوا ان الحب قد يكون المفتاح الوحيد لقلب الشاب النبيل والحل الناجع لتعاسته المريرة وتوحده المستمر .

ورفض الوالد سوذودانا ان يفاتح بنفسه ابنه في هذا الأمر لكنه وهو العارف بطباع ابنه ترك للشيوخ حرية العمل على اقناعه بالزواج .

واستمع (المهذب) للشيوخ بلطف بالغ ثم طلب منهم فرصة سبعة ايام للتفكير حتى اذا حان الموعد المحدد خاطبهم بقوله « ايها السادة سأتزوج اذا وجدتم لي فتاة تتصف بالفضائل المدرجة على هذه اللائحة التي سأعطيكم اياها ولا يهمني نسبها ولا اسرتها او طبقتها .

١٣ ـ كبيلافستو في عيد هذا اليوم .

اليوم يوم احتفالات وصخب .

وهرع الناس الى البلاط وارتدت الجميلات افخر الثياب واحسن المجوهرات

---

(١) كانت عادة الهندوس ان يترك الرجل بيته بعد ولادة ابن له ليتزهد ويحيا مع النساك.

والحلى . ولم يضحك الامير لواحدة منهن رغم انهـــن من ذوات الحسن والدلال . بل بقي غارقاً في صمته منصرفاً الى تأملاته الى ان ...

كانت في آخر الصف الطويل غادة حسناء لمـا رآها الراهب بوروهيتا اعجب بها ونظر للامير كي ينبهه لها فلاحظ عليه الاضطراب والاهتمام .

كانت منحوتة من العنبر الخالص ، تبسمت وقالت للامير : انني الاخيرة في هذا الاحتفال ، أليس لي رغم ذلك جائزة ما أو أية مكافأة ؟

فأجابها ضاحكاً : لقد وزعت كل الجوائز انمـا سيحسدك الجميع على هدية خاصة بك ، ثم خلع عقده الفاخر ووضعه في عنقها .

* * *

١٤ ــ كانت هذه الفتاة ابنة عاهل القطر المتاخم ، وكانت غالبـاً ما تلتقي بالامير ، الذي لم يكن ينتبه لها ، وتتعجب بما يبدو عليه من امارات لا تجدها عند غيره من الشبان .

١٥ ــ وانقضت سبعة أقمار ، حتى كان الوقت الذي تزهر فيه الفراشات على افنان الأشجار فباحت الأميرة بحبها لسيذارتا .

الا ان والد ياسدراها لم يخف استياءه من مثل هذا الحب لشاب يعيش في نزهات ودعة بين الحدائق بدلا من حياة امثاله من طبقـة الكشاتريا . لكنه ازاء الحاح ابنته واصرارها وافق شرط التعرف على مواهب وقدرات الأمير ، محتجاً بأنه لا يعطي ابنته لمن يجهـــل التبارز والتصارع وابسط مباديء الحرب والعراك ثم تذرع الوالد بالقانون السكياوي الذي يفرض على طالب يد بنت نبيلة ان يظهر براعته في فنون الحرب خـلال مباراة يشترك بها جميع الراغبين في الزواج بهذه البنت .

وكان الطامعون بقلب ياسدراها عديدين .

١٦ - واعلن في المدينة نبأ الاحتفالات المقبلة التي سيشترك فيها سيذارتا ويظهر للملأ كامن مواهبه وقدراته ، واعلن ايضـــاً ان ياسدراها ستكون من نصيب الظافر .

١٧ — وبدأت الاحتفالات واحتدت المنافسة بين المتبارين الذين ساروا في استعراض طويل ظهر في مؤخرته سيذارتا الذي لم يلبث ان تغلب بيسرٍ على اخصامه في مضمار التمارين والألعاب الجسدية . كذلك كان شأنه في مباراة الخط والكتابة وشرح كتب الفيدا المقدسة .

وبين ذهول الحكام ودهشة الحاضرين كان سيذراتا ينتزع الانتصار تلو الانتصار والظفر تلو الظفر . وكان من بين منافسيه اثنان من اقاربه ، أناندا الذي آمن به فيما بعـد وأصبح اعز حواريه ودفداتا الذي دفعته هزيمته لأن يصبح ألد اعدائه واكبر مناوئيه .

١٨ — أما ياسدراها فقد تقدمت عند نهاية الاحتفال من الأمير وهنأته ثم سألته ان كان يريدها زوجة له .

وحيث ان السكوت لغة الحب فاننا نجهل جوابه في تلك الساعة . إلا ان هدية الخطبة كانت قصر فسرمغانا الفخم .

وتوالت ليالي الفرح وحفلات الابتهاج والسرور .

١٩ — لكن سيذارتا لم ينقطـع عن التأمل والتفكير متسائلاً باستمرار « ألا يمكن ان يكون العالم شيئاً غير هذا ؟ »

٢٠ — وكان ابوه يتذكر دائماً كلمات القـديس أسيتا « سينتصر ابنك بالمحبة لا بقوة السيف ، سيهجر بيته وسيصبح بوذا ذات يوم وكلما طنّت هذه الكلمات في اذن الأب ازداد اعتناء به وسهراً عليه ، لكن هـــذه الوسائل الوقائية لم تجد نفعاً ، وكان ذات مساء !!!!

٢١ — خرج مـــن الباب الشرقي للمدينة قاصداً بستان لومبيني الذي

يحتفظ له باعذب الذكريات .

لقد كان ابوه يبذل جهوده في ابعاد المناظر المؤلمة عن عينيه ، لكن الوالد العطوف لم يكن ذلك المساء ، حيث التقى بوذا بشيخ هرم يسير بعناء متوكئاً على عصاً .

التفت الأمير نحو (شانا) الحوذي وسأله « من هو هـذا الرجل الذي يسير على العكاز ، بجسمه النحيل وقامته المهدودة ؟

هل حالته هذه خاصة بعائلته وحدها أم هي قانون طبيعي شامل يسري على جميع المخلوقات ؟

فأجابه الحوذي صديقه الأمين « ان هـذا العجوز قد هدته الشيخوخة فتقوس ظهره وضعفت حواسه وحطم الألم قواه وهذا قانون عام يسري على جميع الناس اذ تتغلب الشيخوخة على سلامـة البدن وصحته الجسمية ، ولا مناص لنا من مثل هذه الخاتمة » .

وتنهد سيذارتا بحزن وكآبة متسائلاً في نفسه « اية سعادة يمكن للناس ان يجنوها عندما يعلمون ان الشيخوخة ستهاجمهم وتجعلهم يتألمون ويتعذبون أفي كل مخلوق تتغلب الشيخوخة عـــلى الشباب وريعانه ؟ فهل هذه هي الحياة ؟

٢٢ — وبعد أيام وابان نزهته المعتادة في بستان قريب كان يرتاح اليه رأى رجلا يئن من الألم وقد اعياه المرض فسأل (شانا) عن سبب اصابة الرجل وانينه فقال : « هذا مريض ! ان اعضاء جسمه غير سليمة ولا معافاة وكلنا عرضة للاصابة بمثل هذه التعاسة الغني منا والفقـــير والجاهل والعالم وجميع المخلوقات الحية . »

وتمتم سيذارتا في نفسه : على هـــذا فالصحة اذن طيف عابر وسريع الزوال فهل يستطيع المهدد بالعطب ان يبقى سعيداً ؟

٢٣ ــ ولم يكد يبتعد عن هذا المنظر المؤلم حتى اوقفـــه في الطريق منظر اربعة اشخاص يجتازون الطريق حاملين على اكتافهم جثمانا يتبعه جمع من الناس يبكون ويولولون ويضربون صدورهم !

وهنا التفت نحـــو الحوذي قائلا : « صديقي (شانا) يا لتعاسة حياتنا تصيبها الامراض العديدة وتضنيها الآلام المريرة ويتربص بهـــا الشيخوخة والموت ! لا شيء في هذه الحياة غير التألم والألم ! لو لم توجد الشيخوخة لو لم يكن المرض والموت لكان العالم حراً من الآلام خالصاً من المتاعب والأوجاع !!!

وانخرط في التفكير العميق وهو في طريقه الى البلاط متسائلا أليس من علاج لكل هذا ؟

٢٤ ــ وفي صبيحة اليوم التالي التقى بمتسول انعكست عـــلى ملامحه السكينة والهدوء يحمل سلة ويرتدي ثوب الرهبان وارتاح لرؤية هذا الرجل وقال له شانا : ان هذا بكهو (١) أي راهب تخـــلى عن مباهج الحياة ليعيش بشظف وتقشف ويروض نفسه للسيطرة على اهوائه ورغباته .

فأجاب سيذارتا : « حقاً انه رائع فهذا عمل ممتاز وقد اثـــنى جميع الحكماء على الحياة الدينية فمثل هذه الحياة ستكون عياذي وملجأي وستصبح لنا ثمرة حياة وهناء وخلود ! »

٢٥ ــ وأزمع على قرار حاسم ! ان يكون راهباً !
وكأنه لاقى ما قدّر عليه .

٢٦ ــ ولما وصل الى البيت بشروه بولادة ابن له فتمتم قائلا : « هذا

---

(١) بكهو ؛ راهب متسول يلبس رداءاً اسود ويعلق في عنقه نوعاً من الاكياس او صندوقاً يجمع فيه الصدقات . ويكون الثوب والسلة هدية من اصدقائه عند انخراطه في السلك .

قيد جديه لي » . واسماه جده (راهولا) .

٢٧ ـ ذات ليلة ...

ليلة ، كانت امرأته تتأمل شهب الكواكب في السماء الصافية حين فاجأها برغبته في ان يغدو راهباً ويجد البلسم الشافي لتخفيف آلام البشرية واردف قائلا : عند ذلك سأصبح اكبر واكبر وستعظم نفسي وتقوى اذا وجدت السلام .

ثم حدث اباه عن نفس الرغبة طالباً اليه ان لا يضع العراقيل في وجهه ورجاه ان لا يحزن او يقلق عليه قائلا : « لقد حان وقت ظهوري الى العالم والناس » .

وعبثاً حاول الوالد ان يغير رأي ابنه ويقنعه بالعدول عن رغبته فعرض عليه ان يحقق له جميع مطالبه وامانيه : ان يتنازل له عن املاكه وقصوره وخدمه وكل ما يملك . وأجاب سيذارتا انني ارغب ثلاثة امور يا سيدي ان اديتها لي بقيت قربك وستراني دائماً مسروراً واعدك اني لن اهجر البيت بعد ذلك ابداً .

وتلهف الوالد على سماع مطالب ابنه ، وقال سيذارتا بهدوء :

أود اولاً ان لا تصل اليّ الشيخوخة !

وان لا ينتابني أي مرض !

وان لا تعرف حياتي اي انحطاط !

وذهل الأب واجاب بأسى عميق : ان رغباتك يابني مستحيلة فلا يمكن لاي مخلوق مهما كان قوياً وجباراً أن يفرّ من الألم والشيخوخة والموت .

ـ والدي سأرحل لافتش عما لم تقدر أن تهبني اياه .

٢٨ ـ وحدث صديقه الحوذي فيما بعد عن شكواه من عالم مني بالالم والعذاب وتأوه لحالة بني البشر الذين ولدوا والذين لم يخلقوا بعد قائلا :

آه لكم ايها الناس لقد وقعتم في شباك الموت والعذاب والحياتات فيالها من تعاسة مريرة ، اني اشعر بنهاية هـــذا العالم وضحالة مسراته وهزال مباهجه وعبثية ملذاته .

يتحول الفرح الى ألم والشباب الى شيخوخة والحيـاة الى موت مقيت والموت الى حياتات مجهولة تعود وتربط الانسان بدولابها لتجعله يدور ابان تناسخه المتكرر في حلقة من المباهج الوهمية والمتاعب الحقيقية .

وكان الحوذي يستمع اليه فأجاب عند سكوت الامـير بهدوء : فكّر بالآلهة ياسيدي .

— قد تكون الآلهة أيضاً بحاجة لمساعدة وربما كانت من الضعف بحيث لا تقدر على انقاذ الامن يصلي لها . انني لا أود ان اترك كائناً يبكي إذا كنت اقدر على خلاصه !

— اعمل فكرك جيداً بها ياسيدي .

— لقد سمعت صوتاً يهمس لي ان ثابر على رغبتك فستجد ما تبحث عنه ، تابع طريقك حتى الغاية ، لاتتراجع عنها فستحصل على امنيتك ، كافح بشجاعة وعزم فستنتصر ، آمن بنفسك وثق بها وحدها .

ياعزيزي (شانا) ! اياصديقي ! سأذهب اليوم ، سأرحـــل اليوم بالذات ، لقد عرفت لماذا جئنا الى العالم : كي ننتصر !!!

٢٩ - ولم ييأس الوالد المفجوع ولم يقنط واقام له حفلة زاهرة في البلاط دعا اليها نبلاء (كبيلافستو) واحاط ابنه بجمع غفـــير من رجال الحاشية عله يثنيه عن عزمه ، لابل استعان بخمس مائة راقصة وعازفة ومطربة ، يراوده الأمل في صرف ابنه عن افكاره .

وانقضت تلك الحفلة مع انقضاء آخر هزيع من الليل ، كان القمر ينزلق

بين ثنايا الجبل وشعابه مودعاً بنباح كلب خافت في تلك الاثناء كان سيذارثا يدلف الى غرفته لينام ...

٣٠ ــ وبعد هنيهة ، خرج من غرفته ليدخل صـــدفة غرفة الراقصات النائمات ، هناك رأى الامير النسوة على طبيعتهن دون تبرج ولا تجميل وقد وقعت الآلات الموسيقية من ايديهن وسُمع شخيرهنّ وصرير اسنان البعض منهن وقد انحسرت الثياب فاضحة عيوب الاجسام ، فلا لحاظ ساحرة ولا عيون فاتنة ولا تراتيل عذبة ورقصات رائعـة واسارير مغناجة وفاحت في جو الغرفة رائحة البشر المقززة . وشعر الامير ان ابتعاده عن الملذات الحسية قد ازداد وتثبت في نفسه التي خاطبها بقوله : « يحيط بي الألم من كل الجهات ، كل شيء في الحياة وهم وليس غير الوهم ... وتبدد الوهم »

واتجه بخطوات سريعة نحو خزانة ثيابه فانتقى اخفها وابسطها وارتداه ثم توقف لحظة ، انه لايريد ان يفارق ابنه قبل ان يقبله ويودعه ، لذا دخل غرفة زوجته فوجدها في سريرها نائمة وقد وضعت يدها على رأس ابنها .

امام هذا المنظر الرقيق ، لم يشأ ان ينزع يد امرأته عن جبين الصغير كي لا يستيقظ ويتوسل اليه بدموعه كما فعلت امه قبلا ، انمـــا عزم على العودة لرؤيته بعد ان يصبح (بوذا) وردد على نفسه « انني صاحب رسالة عليّ ان ابلغها يجب عليّ انقاذ جميع المخلوقات » .

وكان الصبح قد بدأ يرسم على لوحة الليل الوانه البيضاء .

★ ★ ★

٣١ ــ ذهب لينادي صديقه الحوذي وكان هذا غارقاً في النوم فايقظه ليسرج له حصانه (كانثاكا) الذي اخذ يصهل ويهمهم فرحاً فقـد وعى قصد فارسه وعرف اللحظة الحاسمة .

وبكى (شانا) حتى ابتل وجهه بالدموع متوسلا سيده للبقاء قائلا له :

« لا تُضح بشبابك الريان لاجل قضاء حياة تسول ورهبنة ، لا تترك منزلك فكيف تهجر هذا البلاط الفخم المفعم بالملذات والمسرات ؟ »

واجاب سيذارتا بلطف وهدوء :

نحن لا نخسر الدنيا الا بالانانية ، لقد احتقر الحكماء جميع الملذات التي تحدثني عنها وهي ليست سوى هادمة كل فضيلة انها محرمة ونجسة . أما أنا فقد عرفت جميع اللذائذ ولا شيء منها الآن يدخل السرور على قلبي ويفتح صدري وانني لن اتخلى عن رسالتي والتفتيش عـن السلام الدائم وطريق الخلاص ولو سقطت علي امطار من الصواعق او هبت علي عواصف من حديد . لن ارى (كبيلافستو) قبل ان احصل على ابادة الولادة والفناء واصل ذروة الحياة الخالصة من الشيخوخة والألم وابلغ الذكاء الصافي الرفيع .

٣٢ ـ وسار وقد انفتحت امامه بوابة القصر الضخمة ومر دون ان يشعر الحراس الغارقون في سبات عميق .

ثم اختفى سيذارتا بين حجب الغابة السوداء ...

الفصل الثاني

شروق الشمس

١ — حتى اذا صفق الشحرور لأول شعـــاع ذهبي من اشعة الشمس التي أطلت تبسم من بين الشعاب ، كان سيذارتا قد ابتعد حوالي عشرة فراسخ عن القصر وبلغ بلاد الملاّويين ووصل الى قرية تدعى (أنومانريا) .

هناك أبعد سيذارتا مرافقيه واصبح وحيداً فريداً ، ولكن احد القرويين عرفه فاقترب منه مرحباً فأجابه « لست الأمير الذي تعرف بعد اليوم ، انما أنا راهب السكياويين » وأمام دهشة القروي راح يحلق شعره ويذريه في الهواء وخلع ثيابه الملكية وبادلها باطمار بالية كان يلبسها احد الصيادين المارين من هناك ...

٢ — وكان يلتقي بالعديد من البراهمة الذين كانوا يستضيفونه ويعجبون بافكاره السامية وهدفه النبيل فسموه بالسكيموني — أي حكيم اسرة السكيا — وما زال ينتقل من مكان الى مكان حتى بلغ مدينة (فسيالي) حيث التقى بأشهر البراهمة اطلاقاً وهو « ارادا » . كان هذا (الغورو) أكبر معلم روحي في زمانه يرشد الى طريق الخلاص ويعلم التحرر ، محاطاً بثلاث مائة تلميذ عدا العديد من المستمعين المتوافدين .

رآه سيذارتا وسط مريديه واصغى اليه حتى اذا راه ينهي حديثه راح يسأله ويباحثه في القوانين البرهمانية ووسائل الصـــلاح والتحرر مما اذهل الحاضرين بسعة معرفة هـــذا الغريب وعلمه الغزير ، بل ان المعلم الروحي رجاه أن يشاطره التبشير والتعلـــيم لشدة اعجـابه بآرائه الأصيلة وافكاره البكر .

ورضي السكيموني ظناً منه أن عقيدة هذا البرهمي عقيدة صحيحة إلا أنه سرعان ما عرف نقائصها وعجزها عن تحرير النفوس والانقاذ من التعاسة والألالم الا انه وقال في نفسه : « قد أبلغ التحرر الحقيقي باتقاني التام هذه العقيدة وبحياة الفقر وبافناء رغبات الحواس » .

وبقي ، مع ذلك ، عدة شهور في (فيسالي) يستمع الى تعاليم أرادا ثم قرر الرحيل ...

٣ ـ اجتاز نهر الغانج ثم بلاد (مَغَدَة) متوجهاً نحو (راجغريها) عاصمة ذلك القطر البديع وامضى اسابيع في مجاهل الغابات يعيش متأملا مفكراً وجهاً لوجه مع روحه ، يسير بين الاشجار الظليلة وقببهـــا الخضراء الجميلة حتى اذا شعر بالاضطراب لانفراده في اماكن موحشة لم يزرها قبله بشر ، او اخافه حفيف الاغصان وصفير الرياح ، تذكر النساك الاقدمين والبراهمة الذين يستمرون في تأملهم طوال الليل واناء النهار دون وجل ولا ملل ، ثم يستقر رأيه على ان الخوف ليس الا الوهم ... الوهم الناتج عن الجهل ..

٤ ـ واذ سبقته شهرته في الحكمة والجمال الى مدينة راجغريها فقد هب الشعب عن بكرة أبيه للقـائه ، فتوقفت الحياة في المدينة في ذلك اليوم المشهور وسارعت الجماهير لرؤية المتسول الكريم المحتد النبيل الأصل المتنقل من بيت الى بيت يجمع بسلته صدقات المحسنين ...

وكلف (بمبيسارا) ملك المدينة بعض معاونيه بالتعرف على سر الشحاذ الذي ازدحمت الجماهير للتبرك به وتقديم القرابين اليه . وتأثر الملك عندما عرف نبل الراهب الشحاذ صاحب القلب الطيب وارتدى أفخر ثيابه وحليه ثم أخذ يفتش عليه مصحوباً بحاشيته ومستشاريه حتى التقى به جالساً في ظل شجرة تين كثيفة .

وانحنى الملك أمامه قائلا : « ان يديك خلقتا لتسلم وتوجيه زمام الحكم لا لحمل سلة شحاذ » . وسمع بمبيسارا جواباً مدهشاً ورأى في الامير نبلاً ومزايا رفيعة جديرة بالاقتـــداء . فاحتضنه طوال عهـــده وكانا في عمر واحد تقريباً .

٥ ـ لكن ...

رغم عروض بمبيسارا المغرية ...

ورغم ما رآه من مظاهر تقديس الجماهير له وايمانها به فقد ترك المَلِك والجميع ليعيش وحيداً فريداً .

. ولم يكن قد آمن بعد بكفاءته على حمل اعباء رسالته .

٦ ـ بالقرب من راجغريها ، كان يعيش برهمي طبقت شهرته الآفاق وعمت افكاره وآراؤه الشعوب والحكماء ، كان ذلك (الغورو) هو رَدْراكا الحكيم ...

واتجه السكيموني نحو الغورو الكبير ليرجوه ان يقبله مريداً بسيطاً يتلمذ على يديه . الا ان ردراكا ما لبث ان لاحظ ذكاء الشاب وذهنيته المتوقدة فطلب اليه ان يشاطره إدارة المدرسة بل وعرض عليه تعليم عقيدته الجديدة ثم اغراه بالتخلي الكامل له عن مركزه في تعليم سبعمائة مريد .

اما سيذارتا الذي بقي عدة ايام في مدرسة (ردراكا) وبين تلاميذه فقد قال للمعلم : « انني مقتنع ان الطريق التي التزمتها هنا لا تقودني الى اللامبالاة ازاء الأشياء ولا الى التخلي عن الاهواء والانتزاع من طوقها ولا الى ازالة الرذائل ولا تدفعني الى صفاء النفس وسكينتها . سأتابع طريقي يا استاذي المبارك حتى ابلغ ما أبحث عنه ، انني افتش عن التحرر » .

٧ ـ وتابع تجواله وطريقه ، ولم يكن وحده هذه المرة اذ لحق به خمسة رهبان اعجبوا بتعاليمه وخلبت عقولهم عقيدته الراسخة وايمانه الذي لا يتزعزع .

وكان هؤلاء الخمسة اول حواريه ...

٨ ـ وبلغ السكيموني ورفاقه ضفاف نهر (نائرنجانا) في مقاطعة (أوروفيلا) الفتانة المناظر .

هناك فرروا البقاء وقد أخذتهم روعة المكان وجماله الساحر . قال السكيموني متأملا المروج الخضراء الممتدة على مرمى النظر حقاً انها بقعة

بديعة ، هنا غابة رائعة يجتازها شادياً نهر ينساب رقراقاً بين ضفتين مخمليتي الثوب وتصلحان للاستحمام ، وهناك وهنالك تتناثر قرى خلابة تفتن قلوب الراغبين في النزهات والاستجمام والصفاء . ان بقاءنا هنا واجب اذ ينشرح القلب الوادع الذي يتوق الخلاص والانطلاق . »

واقام في ذلك المكان مدة في شظف وتقشف يقـــاوم بعنف وعناد شهوات قلبه وأهواءه ونزعاته البشرية .

وانقضت أيام ... وشهور ...

٩ ـ ستة أعوام من الكفاح والصراع داخل نفس بشرية ، أثارت هذه المثابرة وهذا الزهد القاسي اعجاب تلاميذه واكبارهم .

وكان هؤلاء الجائعون في ساعات هذيانهم يصيحون ويتخاصمون مع الشيطان احياناً ومع الآلهة احياناً أخرى .

١٠ — رغم كل هذا .

رغم كل هذه التضحيات وهذه التأمـلات والاستغراقات لم يفض عليهم الاشراق ولا هم بلغوه .

حتى كان ذات صباح ذهبوا الى نزهـة طويلة وجدوا المعلم بعد عودتهم مغمى عليه فاقد الوعي فظنوا انه قد مات .

الا ان رشده ثاب اليه بعد حين ، ومن ثم آمن بأنه ما من تكفير وتحسر ولا أماتة حواس أو تقشف وما من شظف وقساوة على الجسم أو تجويع واذلال الرغائب بقادر على ايصاله للمعرفة الحقيقية ...

١١ — هذا يوم من ايام الصيف ، الوقت ظهر والارض تكاد تحترق من شدة القيظ ولظاه ، الماء باردة توحي وتدعو للسباحة .

وأحس سيذارتا برغبة في النزول الى احضان المياه ، إلا انه لم يقـــدر لهزاله الشديد وضعفه البالغ . ورأته راعية كانت تمر قربه فلاحظت اعياءه

وتعبه وسألته ان يشرب قليلاً من الحليب الذي يفيده ويقويه .

لكن الحليب محرم على النساك .

١٢ وشرب السكيموني ! ! !

كذلك فعل في اليوم الثاني والثالث و . . . حتى استعـــاد قوته وتنشط جسمه .

١٣ – ثم قال لتلاميذه : « قد ثبت لديّ ان الأخـــذ بتعذيب الجسم لازالة الرغبات امر هراء . يجب ان نتغذى كي نكون بصحة جيدة فالأطعمة اساس الحياة والحياة مصدر النشاط واذا كان المهم هو التغلب عـلى النفس فما بهما عندما تكون مغلوبة أن يكون الجسم هزيلاً أو سمينا ؟

١٤ – وذهل مرافقوه الخمسة الذين حافظوا عـلى وفائهم له حتى ذلك الحين وظنوا به الظنون وشكوا في عقيدته وايمانه . الا ان السكيموني عرف مادار بخلدهم فقال لهم عندما شاؤا تركه وتوديعه :

« كما تخلصت من حياة الدعة والرفاه ، فقـــد تخلصت ايضاً من حياة الشظف والتقشف . كنت في شبابي غارقاً في النعيم تقتلني التخمة ، وبالامس كدت اموت من الجوع والمسغبة . لا الأمس القديم يارفاقي ولا البارحة القريبة مما يناسب الانسان ، اليوم فقط بلغت الحل الوسط الصحيح . ايهـا الزملاء سأعيش بتغذية جسمي كي اتمكن من متابعة الخط الذي رسمته والسير على الطريق التي اردتها لنفسي » .

١٥ – وتركوه متوجهين الى بناريس .

وبقي وحده ، بقي معه ظله .

١٦ – وانعزل في غابة (اوروفيلا) ، متابعاً تأملاته وتفكيراته وقد اعتدل في تقشفه وقساوته على جسمه متذكراً في كل حين تجربته الأولى . وحدّث فيما بعد تلاميذه عن هذه المدة فذكر لهم انه في تفتيشه عن الحقيقة اعواماً واعواماً

كان يعذب نفسه بطريقة مؤسفة دون ان يتساءل لماذا يضيف الآلام الى الحياة التعسة المملوءة بالآلام ، وكيف يزيد في متاعب العمر الحافـــل بالمتاعب والمتعب في حد نفسه .

هناك ، في ظل الصمت الساكن الذي لا يعكره سوى حفيف أفنان متهامسة أو عصافير متناغية .

هناك ، أقام السكيموني أسس عقيدته وأشاد قواعد طريقته التي عزم على عرضها على أنصاره بعد ان يلاقي الحقيقة .

١٧ ـ ومن ثَمَّ اخـذ يسير على الاسلوب الحياتي الذي ارتآه والذي سيعلنه فيما بعد ويعرضه نظاماً ومسلكاً .

ثم فكر ورأى ان ما وصل اليه لم يبلغ بعد طريق الحكمة القادر على الافناء النهائي للمرض والشيخوخة والموت ..

فالبشر الى فناء ، والانسان اناء من فخار ينكسر عند أول صدمة ، كأنه قصر من الرمال لا يرتكز على شيء او كتلك الثروة المستعارة التي يجب ايفاؤها ذات يوم . ان كل شيء هو سبب ونتيجة في الوقت نفسه مما ينتج التركيبات والتشكيلات وليست هذه سوى الفراغ . ان الفراغ وحده هو الثابت الذي لا يتغير . الكائنات فارغة من الداخل ومن الخارج ، ولا شيء منها حائز على الثبات الذي هو وحده دلالة القانون الحقيقية .

١٨ ـ وانقضى الشتاء الأول ... والسابع

وفي الربيع السابع ، في الوقت الذي تتذهب فيه الشمس وترقص اخيلتها بين الاغصان ، راح يصارع ويفكر وبعد اليوم السابع من صراع عقيم حصل على الاشراق وفاض عليه النور الذي طالما تمناه وانتظره .

في ذلك اليوم اجتاز درجات المعرفة واحدة بعد واحدة حتى اكتشف المعرفة الكبرى واكتنه طرق الضلال في الحياة البشرية وعرف أسباب الألم .

١٩ ـ في ذلك اليوم المشهود تحـول الأمير سيذارتا الى بوذا . . الى رجل عارف أو مستنير .

٢٠ ـ لما بلـــغ بوذا الاشراق ووصل الى الاستنارة والعرفان تفوه بهذه الاقوال :

« تابعت دورة التولدات العديدة والمتكررة ابداً ، دون ابطاء ولا كلل ، وبحثت دون هوادة ولا راحة عن اسباب التناسخ والتولد الذي يتكرر ويتكرر ولماذا العودة للحياة بعد كل موت فوجدت ان هذا شر واكتشفت المسبب : ان باني هذا البيت لن يبني بعد الآن بيوتاً أي حيوات جديدة فالقلب الذي صار حراً قد استأصل كل رغبة » .

٢١ ـ ولبث في مكانه لا يبرحه عدة أيام يتذوق وينعم بسعادة الخلاص ولذة الاشراق والعرفان .

٢٢ ـ وفكر بوذا ، وفكر طويلا في الموت ليرى من بعد أن اسباب الولادة والموت هي الجهل الذي هو المصدر المسموم لكل شر وألم . من هذا الجهل تنبع الرغبـــة في العيش التي تولـد بدورها الاشكال العضوية فى حقول الادراك الستة التي هي الحواس الخمس والعقل هـذا الذي يختصرها ويستوعبها . هذه الحقول الستة تتصل بالعالم الخارجي ومن التماسها هذا تصدر الاحاسيس التي تنسج الشخصية مع التعلق بالاشياء المادية .

وتخلد الشخصية أو تدوم في الولادات المتعاقبة محدثة الألم والشيخوخة والموت .

وبما أن سبب كل ألم هو الجهل فلا مناص من القضاء عليه للقضاء على الألم وبهذا تزول الرغبات المتولدة كذلك يزول ادراكنا الخاطيء للعـالم الخارجي وننقذ انفسنا من خطأ الوهم والانانية بوضعنا هـــذه النفس فوق الموت والتناسخ .

اربع حقائق تقود الى (النرفانا) ، الى السلام الدائم الاولى وهي تتعلق بالألم : يصيب الألم كل ما اتحـد بالمادة وامتزج بها . يعتور الألم كل من يرغب في ما لا يقدر على بلوغه .

والثانية تقول ان الألم متولد من الرغبة في الحياة والحقيقة الثالثة هي ان الألم يتوقف عندما نخضع الشخصية ونسيطر عليها ، فهي مجموعة من الحركات المتتابعة وليست الا كذلك ، اما الرابعة فهي : لكي يتخلص الانسان من الألم عليه ان يكون صاحب فهم سليم وكلام صادق ومسلك قويم وفكر نقي وروح في سلام واطمئنان . يجب ان يحب كل مايدب على الارض ويتغلب على كل شهوة ويتحرر من كل غضب . وتابع بوذا قائلاً :

انني اود ان اخلص جميع الـكائنات من العودة الى جحيم هذه الارض بدفعها ورفعها نحو النرفانا . فالنرفانا هي اللاوهم والراحة والتغلب على الموت

٢٣ ــ وراح الراهب المبارك يجوب اطراف الارض يبلـغ رسالته ويعلم عقيدته الجديدة لشعوب الغانج .

٢٤ ــ وكان بوذا في عامه السادس والثلاثين ...

●●●●●●●

الفصل الثالث

الظـهـيرة

١ ـ عند مغادرته غابة (اوروفيلا) التقى بتاجرين سلما عليه وقدما اليه الارز وقالا بخشوع :

« تنبأ المنجمون بانه سيخرج ذات يوم من هذه الغابة معلم كبير ونحن نرى الآن انك انت هو هذا المعلم الذي طال انتظاره والذي سينقذ العالم . سنسير منذ الآن في ظلك وحسب قانونك ، وقد آمنا بك فاقبلنا في دينك » .

★ ★ ★

٢ ـ تعلل الكتب المقدسة كيف ان التاجرين دون سابق نظر أو معرفة بالراهب المنعزل تأكد لديهما انه هو بوذا المرتقب .

٣ ـ بعد بلوغه الاشراق قال المعلم : « ان القانون النابع مني عميق ومنير انما يصعب ادراكه فلا يجري عليه امتحان ولا اختبار وهو خارج عن أطر التفكير المنطقي ولا يحيط به الا العلماء الراسخون والحكماء الراشدون .

وحيث أهمل هذا القانون كل فكرة للفردية الانسانية فقد ارقف كل وجود ، وحيث الغى كل رغبة وحرر من كل الميول ومنع كل تكرار للولاد الذي يحرمنا من النرفانا أنا اذا علّمتُ الناس هـذا القانون فانهم لن يفهموه وسأتعرض لشتائمهم .

٤ ـ انه عرف الحقيقة ولكن هل يعلمها ؟

واستغرق في تأملاته العميقة الى ان لاحت له رؤيا الرب الاعلى وسمع براهما يقول له :

« يجب ان تمارس عقيدتك » ثم تابع الاله قوله : « هناك كائنات نقية من الأدران الأرضية وهي بحاجة لرسالتك كي تبلـــغ خلاصها . ان عليك ان ترفع المخلوقات الى ذروة الحقيقة فمن هناك يعرفون ما كان مخفياً عنهم في السفح »

وبقي بوذا متردداً وشك في الصوت الذي خاطبه الا ان هذا الصوت كرر على اذني بوذا القول :

« قم يا أيها المعلم ، انهض شجاعاً مقداماً فسوف تكون المنتصر الأكبر بين البشر كافة » .

واستطرد المرسل يفكر في الأمر ورأى الناس ثلاث فئات فئـــة في الكذب وستبقى فيه واخرى في الحقيقة والثالثة في الشك ، مثلهم في ذلك كمثل رجل على ضفة يرى زهرة اللوطس التي نبتت فوق الماء والتي طفت على السطح والتي نبتت تحته . وأنا سواء علمت أم لم أعلم القانون للذين هم في الخطأ فانهم لن يتلقاه ولن يستوعبه غير الحيارى والمتشككين .

★ ★ ★

(٥) ــ كل هذه الشكوك أصابته وهو يرى التاجرين يبعدان شيئاً فشيئاً عن الغابة في طريقهما الى المدينة ليعلنا لاهلها العقيدة الجديدة والنبي الذي ظهر وسار المعلم نحو (راجغريها) ليبلغ مبادىء رسالته لمعلميه الاقدمين .

٦ ــ لكن (أرادا) كان قد مات .

ثم تذكر مرافقيه الخمسة الذين تركوه بعـد شكوكهم في ايمانه . وعلم أنهم يقيمون في حديقة (ايسيبتانا) جوار بناريس ، فقصدهم وجيداً ينام في الغابات ويسترشد بالكواكب متهيئاً في عزلته هـذه للجهاد الروحي الذي عليه ان يؤديه في بناريس (١) مدينة الآلهة والمعابد

(٧) ــ رآه الرهبان من بعيد فاتفقوا على ان لايقيموا اية عـلاقة معه وعلى ان لايقفوا له او يقدموا له الطعام ولا الاحترام .

---

(١) بناريس : مدينة مقدسة وكبيرة وهي تشابه الى حد بعيد القدس أو مكة في الاديان السماوية . .

حتى اذا وصل المرسل اليهم نهضوا تلقائياً واقتربوا منه مهللين واستقبلوه بالتبجيل والاحترام الفائق ، الا ان بوذا حدس ما اتفقوا عليه وما دار بخلدهم فبادرهم بقوله : « لاتدعوني باسمي لست بعد اليوم أمير السكياويين فأنا بوذا الذي يعتبر جميع الكائنات بنفس التعاطف والنظرة .

انني مقتنع بان التقشفات لا تؤدي الى طريق الخلاص ، لكن هذا لا يعني أنني اسلم نفسي لحياة الدعة والتخمة . اماتة الحواس يا اخواني ، وتعذيب النفس كالقرابين التي تقدم للآلهة لا تطهر من لم يتحرر من الخطأ . الانسان الذي يضع في قنديله الماء بدل الزيت لا يبدد الظلمات الحالكة المحيطة به ونحن بحاجة للنور لنميز العالم القاتم . ان من يستفيق على معرفة الحقيقة يخلص ذاته من كل خوف ويبدل بالهناء والسكينة مطامحه المقلقة وآلامه اللامجدية » .

وقال له احدهم : انني لا أفهم ما تعني .

ورد المعلم موضحاً : يصدف ان تمس قدمك حبلا فتظنه حية لدغتك ويملأ الرعب شغاف قلبك ، الا انك سرعان ما ترتاح وتبتهج عندما تعرف خطأك اذ ان خوفك كان في جهلك وتوهمك . حتى اذا عرفت انك وطئت حبلا لا حية وعرفت الحقيقة وجدت هناءك واطمئنانك .

تلك هي حالة الانسان الذي يعرف وهم الشخصية ويعرف من ثم ان سبب آلامه ومتاعبه هو شيء يشبه الطيف الذي يمر بالاحلام .

ثم سأله آخر : ما قولك بشخصيتنا الانسانية ؟

- طوبى للذي يتغلب على الانانية اذ انه يجد السلام ويبلغ الحقيقة التي تنقذه من الألم . لا تنسوا ابداً أن كل ما له بداية ستكون له نهاية .

التخلي عن كل خطيئة ، وعمل كل صالحة وخير ، وتطهير القلب ، هذه هي عقيدتي .

٨ - واصبح الرهبان الخمسة اول تلاميذه .

٩ - وجمعهم بوذا وعرض عليهم في خطبة القانون الجديد :

« ايها الرهبان ، هناك حدان متناقضان يجب ان يبتعد عنهما الذين تخلوا عن حياة الدنيا الأول هو الانسياق في الملذات وهـــذا أمر سافل وعقيم والثاني هو طريق التقشف واماتة الجسد وهذا امر مؤلم وعقيم ايضاً .

ودون ان اترك لنفسي العنان وراء اي من هذين الطريقين فقد وجدت بعد تفكير طويل طريقاً وسطاً يفتح العيون ويوقد العقـل ويقود الراحة والمعرفة والاشراق والنرفانا ، انه طريق طويل بثمانية مسالك هي :

« عقل مستقيم وحزم وقول وعمل وحياة وجهد وتفكير وتأمل » .

هذه هي الحقيقة : الولادة والشيخوخة والمرض والمـــوت ألم . ألم هو الانفصال عن من نحب وكذلك الرغبة التي لم تشبع . باختصار ان العناصر الخمسة التي تربطكم بالحياة هي ألم .

وهذه هي الحقيقة عن الألم : انه تعطش للفرح وللرغبة التي تولد مرارة التناسخ .

وبهذا استنارت عيناي وعقلي اما الآن فقد بلغت اسمى درجات المعرفة واكملها وانني ألاقي هذه المرة ولادتي الاخيرة على الارض اذ بتحرري من الألم قد ازلت التقمص ولن الد مرة اخرى بعـد هذا فقد منعت عودتي للحياة لأدخل في السكينة الدائمة : في النرفانا .

وقال الرهبان المستمعون لأعظم خطبة للمعلم : لاشك انه عرف الصراط المستقيم ففي غيابه عنا لاقى الصواب وتوصل الى الحق .

١٠ - ومر أحـد الرعاة بقطيعه قريباً منهم ، فشرب بوذا قليلا من الحليب قدمه اليه الراعي كذلك فعل بعده الرهبان فشربوا المحرم على الزهاد البراهمة مظهرين بذلك انهم اختاروا المعلم وآمنوا برسالته .

١١ — وفي تلك الليلة ذاتها جمع بوذا المؤمنين ليقص عليهم بعض ما جرى له في حيواته السابقة ، وسأله أصغرهم عما يقصده بحيواته السابقة فأجابه المرسل المحترم ان الانسان مركب من جسم وروح يفنى الجسم فقط وتبقى النفس ويطول عمرها وتعيش في كثير من الاجساد متعذبة هائمة على الأرض حتى تتنقى وتكمل (١) وعندها ترتفع الى النرفانا ، ان المآسي التي تصيب الانسان الصالح هي نتيجة الاخطاء التي ارتكبها في احدى حياتاته السابقة .

— سئل عما يحدث للمجرم فأجاب ان القاتل يعاقب في الدنيا بأن يعود ويعود للحياة (يتناسخ) فقد جعلت الآلهة من الارض جحيما ومكاناً للألم والعذاب . ان حياة الفرد الروحية طويلة وكما ان جسمه فانٍ فإن الروح بحاجة لعدة اجسام كي تتحرر من التناسخ في عالم مملوء بالآلام والآثام . وما الجسد الا وعاء سريع العطب يحمل الروح مدة من السنين بين جنبيه

— والنرفانا ؟

— لا اهمية كبرى لمعرفة ما هي . ان مهمة الأنسان هي بلوغ حياة الكمال لتتخلص روحه من الأرض وتقدر على اجتياز عتبة النرفانا .

— وما قولك بالانتحار يامعلم ألا يختصر من هذه الحياة الأليمة ؟

— كلا فانه لا يمنع التناسخ . ان ما علينا هو ازالة الشر والرغبة . طهروا ضمائركم فتتخلصوا من التناسخ ولن تولدوا من بعد أبداً .

كانت احدى الأرانب تعيش في غابة ، وتقتات بالأثمار والأعشاب دون ان تسبب الأذى للمخلوقات الحية . وكان يعيش معها قرد وابن آوى وابن عرس على أحسن ما يكون الأصدقاء وكانت تعلمهم أحياناً الواجبات وتدلهم على الخير والشر وتقول لهم ان علينا ان نهيء الصدقات لمعطيها للذين يستحقونها .

« ١ » مما لاشك فيه ان نظرية افلاطون في التناسخ والنفس ذات مصدر بوذي كما هو ملاحظ ، كذلك نظريات بعض الفلاسفة المسلمين كما سترى في القسم الثاني

وكانت الأرنب تقول لنفسها : أية حسنة ياترى يمكنني ان اقدمها وأنا لا أملك شيئاً من الفول أو الأرز أو السمن ، فالعشب غذائي الوحيد ولا اقدر ان اقدمه لأحد ؟ إلا ان الأرنب قررت ان تقـدم روحها للمحتاج او الجائع .

وفي ذات يوم رأت السنة النيران تلتهم اخشاب بيت فقير فألقت بنفسها واهبة حياتها لتنقذ المسكين لكنها نجت إذ ضحّت بحياتها محبة بآخرين .

لا تنسوا ان المحبة والاحسان هما أقوى قوى العالم .

★ ★ ★

١٢ – ولم يطل مكوث المعلم في بناريس فقد كان يفضل مدينة راجغريها وكان فيها تاجر غني اسمه (كالانتا) يملك بساتين شاسعة قدم بعضها لجماعة من البراهمة ثم ندم على ذلك لما سمع بالمعلم فاسترجعها منهم واقام بها مسكناً قدمه لبوذا .

وبالقرب من المدينة ، كان المعلم يسكن في مكان يسمى (نالندا) وفي ذلك المكان آمن به أشهر صحابته امثال ساربوترا ومغلانا وكاتياينا .

١٣ – وجاء الصيف تهدهده نسيمات عابقة بشدو العصافير ولذة الذكريات وتألق بلاط كبيلافستو ولم يكن ينقصه الا أمـــيره الذي كان من المستحيل نسيانه .

١٤ – كان سوذودانا المفجوع بغياب ولده يقوم بمجهودات ضخمة ليعيد اليه ابنه عن طريق ارسال الرسل اليه وتذكيره بابنه وبيته وزوجته . لكن الرسل عند وصولهم اليه كانوا يعجبون بفصاحته وتأخذهم هيبة المعلم فيؤثرون صحبته ويتبوذون .

ولاحظ الأب ان لا سبيل للوصول الى بغيته عن طريق المبعوثين فأرسل اليه مستشاره شاركا الذي مالبث هو ايضاً ان تبوذ وآمن بالراعي الصالح

الا انه رجع ليعلن لسوذودانا عن زيارة ابنه القريبة له .

١٥ — واخذ بوذا طريقه الى وطنه مصحوباً ببعض تلاميذه .

★ ★ ★

١٦ — وانتشر النبأ السعيد في ارجاء البلاد وعرف الناس ان المعلم سيجتاز الغانج وتردد الخبر بأن الأمير سيذارتا الذي ترك قصره منذ اثني عشر عاماً ليحصل على نور المعرفة قد عاد مستنيراً الى احضان اسرته .

١٧ — ولما التقى الأب بابنه ذهل لجلالة قامته وجمال طلعته وبادره المعلم قائلاً : « انا اعلم ان قلبك يطفح بالحب وانك حزين لغيابي واني ارغب اليك ان تقيم نفس الصلات التي تربطك بي مع جميع المخلوقات انك تستقبل الآن المبشر بالعدالة والحقيقة » .

واجابه سوذودانا المفعم بالسرور والابتهاج : « ياله من تحول مذهل ياولدي لست الآن حزيناً كما كنت أراك في الماضي .

جميل ان تتخلى عن العرش ونذة الحكم للقيام برسالتك النبيلة .

انك وجدت الهدى والصراط وانت تقدر على التبشير بالحقيقة في عالم متعطش للتحرر » .

١٨ — اطيعوني ايها الناس ! استمعوا اليّ فترفرف السعادة على قلوبكم وهرعوا اليه من كل حدب وصوب يستمعون اليه .

١٩ — في الليل وقد استسلم العالم للرقاد وهجع كل من في البلاط ، هبّ يتجول في شوارع المدينة تذكره اشباح المارة المرتدية الظلال بأيام قلقة وهمة البحث عن الحقيقة واستعاد في مخيلته سيرة حياته وكفاحه السائرة قدماً نحو الكمال المطلق .

٢٠ — وفي النهار بعد ان تناول فطوره مع ذويه ، ذهب يستلقي تحت شجرة كثيفة في بستان القصر . وتبعته زوجته بعد حين مصحوبة بابنها راهولا الذي دفعته الى ابيه قائلة له : « تقدم ياراهولا واطلب من ابيك ارثك » .

واقترب راهولا من ابيه متردداً حتى وصل اليه فقال : اسمح لي ان ابقى قربك حتى الأبد فهذه هي سعادتي .

وفي هذه الأثناء كان سوذودانا قد وصل مـــع بعض رجال الحاشية فقال له بوذا :

« ان ابني يودُّ أن يتبعني وينضوي تحت راية القانون الجديد فهذا هو نصيبه من الميراث ميراث من السلام والمحبة والطمأنينة واعترض الجد بقوله : عندما تركت حياة البلاط ذات يوم لتلبي نداء الوحي احزنت قلبي كأب وها انذا اليوم أتالم وقد عرفت ان ابنك ايضاً سيلبس ثوب الرهبنة ويحمل سلة المتسولين . اتضرع اليك ان لا تقبل منـذ اليوم في السلك شاباً قبل موافقة اسرته .

٢١ ــ وهذا ما كان بالفعل .

٢٢ ــ وفي جمع من الصحابة والمؤمنين حدَّث المعلم الكبير ان القرون والاجيال والأرض والكون والتغيرات امور وهمية تشوّه لنا دولاب الحقيقة الجبار . لا تنسوا ايها الصحابة انكم تملكون قدرة توازي قوة اعظم الأشياء انها الحب وطيبة القلب والكمال فهذه تقويكم من الآلهة .

وسأله سوذودانا وما علينا ان نفعل ؟

انك تقدر على رفع مصيرك حتى مستوى الآلهة او تخفضه حتى الدرك الاسفل ومن يرتفع يقدر على الهبوط ومن يهبط يستطيع الصعود .

لا بد من الشجاعة والايمان بالنفس

هناك قوة ادنى من جهنم وارفع من الجنة ، وراء ابعد النجوم وفوق مكان براهما ، انها سلطة ثابتة وآلهية وجـــدت قبل البدء ولن تنتهي فهي خالدة كالزمن اكيدة كاليقين لا تخـــدع تباً لمن عصاها وطوبى لمطيعها ، جوهرها المحبة وهدفها السلام وتحقيق الكمال .

ــ وما هي حياتنا ؟

ان حياة الفرد نتيجة لحيواته السابقة فالاخطاء تولد الاحزان والآلام أما اذا كانت الحياة التي سبقت حياتك الآتية مستقيمة فانها تحدث فيك الطمأنينة والهناء فالانسان يحصد مابذر .

واذا بقي الانسان للمحبة والحقيقة ، فان مصيره يتحقق سريعاً وتبعد عنه متاعب الشيخوخة وأردان الخطيئة ويبلغ النرفانا حيث يغدو سعيداً لانه انقطع من الوجود وانفك عن ان يكون ..

٢٣ — هل تقبلني في السلك سأله سوذودانا ؟

٢٤ — وهكذا آمن بالدين الجـديد امرأته ورجال الحاشية وتحقق بذلك قوله القديم لهم :

« اني راحل لأخلص الذين أحبهم » .

٢٥ — ورأى السيد ان الجميع ينضوون تحت قانونه فأوصى بقوله : « اني اود أن تدخلوا في الدين بحرية تامة ، يجب ان يكون ايمانكم سلطتكم . لا تفرض الحقيقة بالقهر فالقوة سلاح من هم على خطأ وأجابه المؤمنون :

ستكون عقيدتك ايماننا .

في ذلك الحين كان في بناريس لرجل غني ولد وحيد يدعى ياسا يعيش على طريقة ابناء النبلاء في حفـــلات ومسرات دون أن يزيل عنه مسحة من الهم والكآبة .

وهرب من قصر ابيه ذات يوم متوجهـاً نحو بستان ايسبتانا كي ينعش روحه المريضة ويصلح حياته القلقة .

وكان بوذا في نفس المكان ولما رأى الشاب قرأ على وجهه مأساة حياته فقال له : « اتبعني يا أخي فاعلمك العقيدة الجـــديدة كفاك تعذيباً لروحك ليست المسرات شيئاً إن نحن قابلناها بالسعـادة الحاصلة بالتخلي عن لذائذ الدنيا . . .

٢٦ — وبكت أم ياسا لما افتقـــدته وفتشوا عنه كثيراً حتى وصل به أبوه الى بستان ايسبتانا .

هناك أخذ الوالد المفجوع يبحث عن ابنه بين حلقـات التلاميذ وعرفه رفاق ياسا الملتفون حول بوذا الذي اخفى ياسا ريثما يتفق مع ابيه . ولما اقترب هذا من المعلم سأله بلهفة عن ياسا فرجاه ان يهدأ ويرتاح ، وفي لحظات استراحته كان المعلم يعرض فضائل الناموس ويدعو للتعاليم والايمان مما أثار دهشة الوالد فقال : طوبى لك ايها المعلم والمجد لك اني قد آمنت بدينك فهو دين السعادة واني اهب املاكي كلهـا لجماعتك وارجوك ان تقبل ايماني على يديك ولاصبح عضواً بين المؤمنين الصالحين .

عندئذٍ نادى السيد الجليل على ياسا المختبيء وراء شجرة قريبة ولما رأه ابوه صرخ ابني ، ولدي ياسا : ان امك حزينة اذهب اليها لتعيد الى قلبها السرور والانشراح .

وتدخل المبارك بقوله للأب : « أتظن ان ياسا الذكي لم يؤمن بعـد ولم يفهم القانون ؟ ان ابنك قد فكر ثم حرر روحه من زيف هذه الدنيا ومن الفساد المولد للخطايا ، انه لن يتمكن ان يعيش كما كان في الماضي .

ورد الوالد ان كل مراده هو أن يشرح ياسا بنفسه لامه الأمر ، ودعا المعلم لرفقته كي يتناولوا جميعهم الطعام على مائدة العشاء في مقره في بناريس

٢٧ — وسار بوذا وياسا والأب في طريقهم الى بناريس .

٢٨ — ودخلوا في الدين افواجاً ووحدانا ، وتبوذت أم ياسا والخدم وكل من في البيت .

٢٩ — وعلى المائدة وبعد ان انتهوا من الأكل راح بوذا يشرح للحاضرين بعض فصول القانون وقال ان المعرفة تتكون من الحواس الخمس والعالم الخارجي ، الانسان مزيج من جسم مادي وقوة روحية . تحرروا من هذا الجسم المادي لتبلغوا الكمال .

وسأل ياسا أيكون ذلك باتباعنا الوصايا المقدسة ؟

ـ اجل وبلا شك فأنا أقول : لا تقتل ، ولا تكذب وسيطر على اهوائك ولأجل هذا لا حاجة بنا للصلاة ودفع الأموال للبراهمة ، يكفي أن نعطي

للفقراء ونعمل الخير دون تفرقة بين سائر المخلوقات .

ـ وما هي الجنة ؟

ـ اذا احترمت الوصايا فانك بدلاً من ان تعود للتناسخ وتولد مرة اخرى على هذه الأرض تولد في اللانهاية حيث تصدر الغبطة .

وتهامس اثنان ، اننا نعرف انه جاحـد وها هو الآن يتحدث عن حياة أخرى في الجنة فما تفسير ذلك ؟

وتابع بوذا وكأنه يرد عليهما :

« ربما تكونا قد نسيتما انه لاقدرة لنا على معرفة المنظر الذي سنلقاه ونعجب به في اعالي النرفانا .

شيء واحد هو المهم ! تلك هي الطريق المؤدية الى هذه النرفانا .

٣٠ — ولم يمض اسبوع واحـــد حتى كان خمسون من اصدقاء ياسا قد دخلوا في الدين الجديد ولما جمعهم المعلم المرسل قال لهم :

« سوف تكونون أول المرسلين من قبلي والمبشرين بالدعوة ، اصغوا الي ايها الاخوة الكرام اني تحررت من سائر السلاسل الأنسانية والربانية التي تقيد الفرد وتأسره وانتم ايضاً قد حررتم انفسكم فاذهبوا في ارجاء الأرض وخلصوا العدد الأكبر من الكائنات . لتكن مواعظكم العالم وخاصة طريقتكم في الحياة سبيلاً لأن تخيم السعادة والمحبة على العـــالم . افتحوا الغوامض امام الأعـــين واكسبوا الانفس بالحب لا بالقوة والعنف . عيشوا في سلام ، احبوا بعضكم بعضاً ...

وهكذا توجهوا الى غزو العالم ونشر الدعوة .

٣١ — وبقي المعلم وحيداً يفكر .

وسمع هـذا الصوت : « رغم ما كنت تقوله لحواريك فانك ما زلت مرتبطاً بالسلاسل الالهية والانسانية ولن يمكنك التخلص مني ابداً » . كان هذا هو مارا ، الشيطان اللعين الذي شاء اغواء المرسل الكريم . وتحدث الأخبار هنا أن المعلم اجاب ابليس بقوله : « انني تحررت منك ايها الرجيم

وانت المغلوب ايها الروح الشريرة المتخفية في زهرة حـــلوة ، لقد حررت قلبي من الألم » .

٣٢ ـ وتوجه بوذا تاركا الغابة نحو بناريس ، يستيقظ عند بزوغ الشمس ويجمع الحسنات عند القيظ ثم يجلس للتأمل والتفكير عندما يجن الليل .

وتدور الأيام وتتلاشى وهو يعظم في نفسه وايمانه .

٣٣ ـ والتقى في طريقه بجماعة من الشبان يلعبون مـــع زوجاتهم وبينهم عزب مع صديقته التي في خلسة عن الأعين سرقت حليّ النسوة وفرت .

ولحقوا بها حتى التقوا ببوذا فسألوه عنهـا واخبروه بالقصة . وسألهم المعلم : « أي شيء أهم في نظركم البحث عن هذه المرأة أم البحث عن انفسكم

ـ ان البحث عن النفس أهم بكثير ايها السيد .

ـ نِعمَ الجواب يا اصدقائي واجلسوا الآن واستمعوا اليّ : « الولادة ألم والوقوع في براثن الأمراض ألم ثم النـاس والموت ألم ولا يمكن التخلص من العذاب الا بالتخلص من الانانية والرغبات وأنا ادعو الى تعاليم تختصر بكلمات هي : لِتخيم المحبة في قلوبكم والطيب في اعمالكم .

وطال الحديث حتى انهاه أحدهم بقوله لرفاقه :

« كونوا سعداء ، فاليوم لقيت السارقة الثروة المادية ولقيتم انتم الغنى الروحي ، افرحوا بذلك فلولا سرقة المجوهرات لما عرفتم الطريق المؤدية الى الخلاص والتحرر » .

* * *

٣٤ ـ كان ناندا أخو بوذا لأبيه ، صاحب آراء في الحياة تختلف اختلافاً بيناً عن نظرات بوذا لها ، ناندا شاب عابث يطارد حسناوات كبيلافستو ويرى فيهن سعادة الدنيا ولذة العمر .

ثم تزوج وعاش مـــع اسرته في بيت قريب من بلاط سوذودانا ومر بوذا قرب بيت اخيه هذا وحسب عادته قرع الباب وطلب الاحسان اليه من سكان الدار فهرع اليه ناندا لما عرف بوجوده وقدم له الارز والثمار

ولم يفه بوذا بكلمة وخرج فلحقه ناندا حتى وصلا الى أبواب المدينة وكان الاخير يفكر في نفسه ويتساءل هل جنّ أخي او انه اراد ان يرسمني راهباً ؟ وبدد هذا الصمت قول المعلم : « احييك يا ناندا كما تحيّ الرهبان لاني احبك وارغب في انقاذك فهذه عقيدتي » .

٣٥ — وانقضت ساعات وساعات وناندا ما انفك مدهوشاً يفكر في كلام اخيه حتى جنّ الليل وزوجة ناندا تنتظر عودة زوجها بخوف من تخليه عنها لكنه رجع مع اخيه في تلك الليلة .

وفي الصباح قاما بنزهة جميلة على ضفاف النهر المجاور وعند عودتهما قرأت الزوجة في عيني ناندا تأثير السيد عليه . وزار البيت كوتدنتا رئيس براهمة المنطقة وقال لبوذا : « ان الناس يقولون انك المستنير ولو كنت بالحقيقة البوذا لما قدمت هذه البلاد إلا كملك في ابهة وفخامة » . وأجاب المعلم باسماً : « ألا تبصر عيناك ؟ لو لم تكونا كذلك لأبصرتا مجد الحقيقة وابهتها » .

وتلعثم كوتدنتا واضطرب مجيباً بحدة : « اظهر لي الحقيقة فأراها وما عيقدتك إلا طيف سيزول وتفتقد للصلابة والوحدة .

ـ الحقيقة خالدة ولن تزول ابداً » .

ـ واعترض كبير البراهمة : يزعمون انك ترشد للقانون الصحيح رغم انك تحتقر العبادة والشعائر والاحتفالات الدينية وترفض التضحية في المعابد مدعياً ان ليس هذا هو التقى الحقيقي ولا التدين . واني اوكد ان الاضاحي والقرابين مع الورع تؤلف جوهر الدين .

ـ التضحية ؟ ردّ بوذا متعجباً هل هي أفضل من قتل الحيوان ؟

ـ ان الذي يضحي بميوله السيئة ونواياه الشريرة يعرف جيداً عدم جدوى التضحيات والقرابين والورع والتزهد فمن يجتث هذه الرغبات الوضيعة يطهر قلبه وينقيه (١) ان كل فرد قادر على نزع الحياة ولا يقدر أحد على منحها

( ) نفس الآراء التي قال بها المتصوفون كما سنرى في القسم الثاني

تحب المخلوقات البقاء وتكافح بغريزتهـا في سبيل ذلك فكل تضحية بالحياة تغدو مخالفة للطبيعة وعقيمة الجدوى .

ـ والشفقـــة .

ـ الشفقة هي ايها الحبر الجليل ، صنعة اللطيف مع الضعيف والنبيل مع القوي . نحن نتوسل شفقة الآلهة ورحمتها دون ان نمارس ذلك ازاء الحيوانات التي هي تحيا تجاهنا كحياتنا تجاه الله . لا يقدر الفرد أبداً على تطهير روحه بالدم فاذا كانت الآلهة طيبة رحيمة فان الدم لن يكون مقبولاً لديها ولو كانت جبارة طاغية لما كفى الدم ليجعلها تشفق علينا وتجعلنا من اخيارها

وسأل الحبر البرهمي :

هل تعتقد ان الروح تتقمص وانهـا تتطور في مجرى الحيوات المتتابعة وانها بخضوعها لمبدأ السببية يجب عليها ان تجني مازرعته ؟

ـ ولماذا سألتني عن هذا ايها الصديق الطيب ؟

ـ قيل لي انك تعلم عدم وجود الروح وان أحبارك يأملون وينشدون التلاشي الكامل كأقصى نعيم في النرفانا .

ـ ما زال المستقبل يقلقك ايها البرهمي وانك تعذب نفسك عبثاً فمازال قلبك متعلقاً بالشخصية الفردية ، ترغب في السماء وتبحث عنها في اللذائذ وهذا ما يخفي عنك الحقيقـــة الأبدية . وأنا جئت ابشر بالحياة لا اعلّم الموت وأنت لاتميز بين الحياة والموت .

ـ واين النرفانا .

ـ في كل مكان ، اجاب بوذا ، وحيث نطيع الناموس .

ـ اذن ليست هي في مكان ولا وجود لها ولا حقيقة .

ـ اين تسكن الروح ؟ اين منزلها ، فهل هي غير موجودة وليست الا وهماً ؟ فكر يا صديقي .

واعترف كوتدانتا بغلبته ولكنه استأذن في سؤال آخر :

ـ اذا لم تكن الروح فكيف تكون خالدة ؟

ـ ان ملكة التفكير عندنا هي التي تزول وتبقى افكارنا . التفكير ينتهي والمعرفة تبقى وتتوقف فعالية الروح ولا تتوقف معه افكارنا كمن كتب رسالة على ضوء شمعة فاذا اطفأ الشمعة تبقى الرسالة مكتوبة رغم الظلمة

ان النشء الفكري يتوقف أما المعرفة وثمرة اعمالنا الصالحة فانهـــا لا تزول ولا تفنى .

وبقي كوندانتا صامتاً .

وتابع المبارك : ان ما يكوّن شخصيتك نتيجة اعمالك في حيواتك السابقة وفي حيواتك القادمة سوف تجني ما تبذره أعمالك في شخيصتك (١) .

ـ ايها المعلم يبدو لي انه ليس من العدل في شيء ان يجني آخرون بعدي ما أبذره أنا في الوقت الحاضر .

ـ تخيل انساناً سيء التربية ، لم يهذب في طفولته وكان كسولاً عابثاً في شبابه ، ألا يجني هذا مغبة مسلكه السيء بحجة ان شخصيته في طفولته ليست هي نفسها في شبابه او شيخوخته ؟

لن تجد مكاناً في الأرض ولا في السماء ينجيك من مغبة اعمالك الطالحة كما ان عواقب الصالحات لاتفنى أو تزول .

وأجاب البرهمي :

اني مؤمن بعقيدتك ايها المعلم لكني كيف اعرف طريق الحقيقة الازلية لقد حفظت غيباً كل كتب الفيدا ولم اجد شيئاً .

ان اتقـــاني حفظ الفيدا شيء لا بأس به اما المعرفة الحقيقية فلا تدرك إلا بالقلب .

ان الطيبة والمحبة عمودان يقوم عليهما معبد الهناء الداخلي الدائم .

وتبوذ كبير الرهبان البراهمة .

٣٦ — وكان بوذا في عامه الأربعين .

---

(١) ليس التناسخ مما ينفيه العلم او يثبته وهو عواطف واعتقادات أكثر منه مبادىء وقوانين او انه فلسفة اكثر مما هو علم وتهتم بهذه الابحاث الميتاسيكولوجية .

٣٧ ــ ليتبع كل منكم قلبه ، وليرجع الى قلبه ليدعو للتعاليم السمحة . الألم كالنار التي تلتهب بالسنتها قطعات الحطب القاسية اطفؤها وتخلصوا منها ؟ والغوا الألم فتكسبوا الخلاص . ان ابواب النرفانا مشرعة لمن نزع الفضائل فجنى المحبة .

ان كل الوسائل المتبعة للحصول عــلى النعمة الدينية والطقوس المتبعة للتقرب من الدين لا تساوي عشر قيمة المحبة التي تحرر القلب . فالمحبة تنير وتشع وتتألق وهي افضل بكثير من تقديم القرابين والتضحيات في المعابد(١) لنكبر قلوبنا بالحب ولنساعد بالحب على تحرير القلوب المتعبة ولنحصل على الحب ولنستعمله بحكمة وتعقل .

٣٨ ــ وكان المعلم اذا دخل مدينة او قرية صرخ النسوة في وجهه قائلات : هوذا الراهب الاكبر الذي يخرج ازواجنا عن دينهم .

ولم يكن يأبه للجماهير وهي تسخر منه او تشتمه بل يقول لأصحابه : ثابروا على دعوتكم فالحقيقة تقنع الناس لا القوة ولا تبالوا بعنفهم تجاهكم

٣٩ . ويقول للبراهمة :

« ما نفع ثيابكم النظيفة وشعركم المجدل . ان الداخل هو الأهم وداخلكم نجس وانتم لا تطهرون سوى خارجكم » ...

وهاجموه بشدة ، الا ان نجمه كان يسطع ويخبو نجمهم . وأظهر للعالم اجمع خبثهم ومكرهم وفساد عقيدتهم .

★ ★ ★

٤٠ ــ وأشاد في بساتين أناثبندكا مدينة دينية مكوّنة من دير ومخادع للنوم ومخازن وغرف للاجتماعات . وفي سبيل ذلك جمع التبرعات وحسنات المؤمنين متلقياً بيده اليسرى الهبات الخيرية .

---

(١) ان اهمية المحبة في الفلسفات الحــديثة هي في المنزلة الاولى في نظام الوجودية المؤمنة « عبريال مارسيل مثلاً » وعند فلاسفة الشخصانية : عمانوئيل مونيه ، نيدونسيل ، مادينيه . الخ ونرى هنا نفس النظرة الصوفية للطقوس والعبادات الشكلية واعطاه القلب الاهمية الكبرى

وسمعت بالخبر احدى المؤمنات فهرعت الى حيث الاحتفال وكانت تأكل تفاحة بقي نصفها في يدها . ولما رأت انهـــا لا تملك سوى نصف التفاحة قدمتها للمعلم فتناولها الكبير بيده اليمنى شاكراً وهو يقول : نعيش من الصدقات اعطوا مما تملكون فابواب الترفانا مشرعة امام الذين بذروا الفضيلة فقد جنوا المحبة .

٤١ — كان ساريبوترا المحترم يتجول ذات يوم في شوارع راجغريهـــا والتقى في طريقه برجل قال ان اسمه هو أساجي . وترافق الأثنان واعجب ساريبوترا بهذا الانسان الطيب ولشد ما كانت دهشته عند ما طلب منه الحسنة

ثم عرف منه ساريبوترا ان احد افراد السكيا وهو رجل مستنير علّمه عقيدة تدعو للخلاص وانها تختصر في أن الرغبة والشيخوخة والموت أسباب الألم . ومن الممكن ازالة هذه الأسباب وما يخضع للولادة يخضع للموت

ولحق ساريبوترا بالمعلم وتبوذ وصار من الصحابة الاوفياء .

* ☆ *

٤٢ — وجاء المعلم رجـل عجوز يدعى نقولابتي وقال له : « اني اشعر أن أيامي قد دنت فأنا مريض ومتألم وقد جئت أرى اذا كنت تقدر ان تهبني الصحة والشجاعة .

ـ ألا تلاحظ ايها الأب الجليل جسمك الناحل ؟ أمن المعقول ان تطلب الصحة لعدة ايام ؟ ان الواجب هو ان تقول لنفسك : « ان روحي قوية وان كان جسمي ضعيفاً .

ونهض نقولابتي وكأنه رجـــع شاباً وسار بدون عصاه ثم حيا بوذا مودعاً وخرج .

ورأى شفاء نقولا بتي بعض المريدين فتهامسوا : انها معجزة اخرى من معجزات المعلم .

واعترض بوذا بقوله : كلا ! فانها معجزة الأيمان .

٤٣ — ومن ياتافا جاءه برهمي في ثياب بيضاء وسأل المعلم :

ما هو السيف الذي لايضاهى حداً والسم الذي لامم اشـــد منه والنار الأشد التهاباً وما هو اكثر الليالي حلكة .

ـ الكلام هو أشد السيوف قطعاً والشهوة أشد السموم زعافاً ، والملذات الحسية أشد النيران اضطراماً والجهل أحلك الليالي .

ـ من هو الرابح الأكبر والخاسر المكابر ، ما هو السلاح الذي لايخرق وما هو أصلب الدروع وامضى الاسلحة ؟

واجاب المعلم : الذي يعطي دون رغبة في الأخـــذ هو الرابح الاكبر والذي يأخـذ دون ان يعطي هو الخاسر الأعظم والصبر هو خير درع والحكمة أفضل سلاح .

ـ اخبرني الآن عما يجذب وعما ينفّر ، ماهو أشد الآلام وأحسن الرضا .

ـ تذكر ايها البرهمي ان الخير هو الذي يجذب والشر هو المنفر . والألم الأكبر هو السلوك المسيء والتحرر أحسن الرضا والبهجات .

ـ ما هو المسبب لخراب العالم وماذا يحطم الصداقة وما أشد الحميات حدة

ـ الجهل يخرب العـــالم . الحسد والأنانية يصدعان الصداقة . الكراهية أشد الحميات وطأة .

ـ عندي شك واحد ايهـا المعلم : ما الذي لا يُحرق ولا يُغلب والقادر على بناء العالم باسره .

بوذا : المحبة ومكسب الأعمال الصالحة .

وباحترام جليل انحنى البرهمي امام الصالح وقال له : انك وجدت الهناء والسلام الروحي . ان قانونك صحيح وقلبك كبير .

ورجع البرهمي الى بلده مسروراً وسألوه عن تبدله وسروره فأجابهم لقد ورثت بالأمس كنزاً ثميناً .

ـ وأين هو ؟ ـ انه في قلبي (١) .

---

(١) من حكمة الشعوب النبيلة ويلاحظ ان القصة الساطعة توضح وتوجز العقيدة بل وتنبع من صميم المفاهيم البوذية

٤٤ — في كوسينارا حيث كان الناس يستقبلونه بابهة واحتفالات . كان ينهض في ساعات الصباح الأولى ليتأمل ثم يحادث تلاميذه ويرد على أسئلتهم ثم يسير معهم في شوارع المدينة لجمع الصدقات .

أما طعامه فكان يقتصر عادة على الأرز وبعض الثمار .

٤٥ — وترك كوسينارا يصحبه أناندا وسار حتى التقيا بفتاة جميلة تحمل جرة على كتفيها .

ـ ما رأيك بالنساء أيها المعلم ؟

ـ يا أناندا يجب عـــلى الرهبان الابتعاد عنهن ، فهن مخلوقات خبيثة وكيدهن عظيم وعلينا أن لا ننظر اليهن ولا نكلمهن ونأخذ حذرنا منهن

واستدعته ذات يوم مها برجابتي قائلة : منذ آمنت بك وجدت الطمأنينة واني ارجوك ان تدخل في الجماعة جميع النساء ليجدن السلام .

ولم يقبل المعلم رغم الحاحها والحاح اناندا ، انما شاء للمرأة ان تبقى في بيتها دون ان تحيا حياة الرهبان ومن الممكن لها الحصول على الخلاص مادامت تتبع وصايا قلبها .

وقبل اخيراً ان تتكون جماعة الراهبات المؤمنات.

٤٦ — وخرج من راجغرايها متوجهاً نحو بناريس ، يصحبه تلاميذه وكان استقبالهم حافلاً في عاصمة البراهمة وكانوا يشيرون اليه : هوذا الملك الشحاذ بينما يجيب آخرون : هوذا الرجل الطيب القلب .

وفي ساحة المدينة جلس الجميع على معبد سيفا (Siva) وقال المعلم : من نزع من نفسه الكبرياء وحررها من الأدران حسدته الآلهة على غبطته الكبرى فلنعش في بهجة كاملة فنحن نعرف الحقيقة ولا نملك من حطام الدنيا شيئاً

* * *

٤٧ — وذهب لزيارة احد الاديرة التي يسكنها جماعة من الرهبان البوذيين وكان يود اجراء رقابة على مدى انضباط افراد السلك وطاعتهم للقانون

واعجب بحياتهم المنعزلة وايمانهم الشديد بالدين إلا انه توقف عند حجرة

ذات باب مغلق قرعه فسمع صوتاً ضعيفاً يدعوه للدخول .

كان فيهـــا راهب عجوز غارت عيناه ووهنت قواه ويئن من الاوجاع وشكا لبوذا إهماله من قبل الكهنة .

وساعده المعلم على تسوية فراشه وأعتنى بأمره ثم أنب رئيس الدير على اهماله للمريض وقال :

« لا تنسوا ان هذا المريض يفتح ضمائركم ، لاتنسوا أنكم لن تدخلوا النرفانا بدون المحبة » .

٤٨ — وفي عودته من الدير التقى بجماعة من الشبان يتسلون بتعـــذيب سمكة في غدير فاقترب المعلم منهم وقال : ألا يخشى الواحد منكم الألم

ـ نعم اننا نخاف الألم ، أجاب كبيرهم :

ـ إذن لماذا تعذبون هذه السمكة فهي مثلكم تتألم وتناول من يدهم السمكة والقى بها في الغدير قائلاً : اتركوا الحياة لمن هو في الحياة (١) .

---

(١) قراءة حياة بوذا بمراحلهـا واشعاعها أقرب الى القلب والروح منها الى العقل والمنطق ان فلسفات الغرب تكلم الوضوح والتجربة العلمية بينما تكلم البوذية حالات الروح واللاشعور وما يمتنع على التجربة في وعاء مغلق ...

الفصل الرابع

الليل

— قدرة المحبة هائلة من حازها أحبته
المخلوقات وحفظه براهما —

١ في قوزمي ، تدخل الصالح بين جماعة من الـــبراهمة يعنفون أحدهم لاقترافه ذنباً ، وعبثاً حاول اقناعهم بالحسنى وبأفضلية التسامح والمحبة والغفران بل صرخ أحدهم في وجهه :

اغرب عنا ايها السيد ولا تهتم بامورنا الخاصة فنحن اعرف بها منك ، اهتم بعبادتك وتأملاتك .

وتركهم المعلم ، غافراً لهم فظاظتهم . ولحقوا به طالبين الصفح والمعذرة ولم يكن الصالح قد حقد عليهم ولا حنق منهم .

٢ ــ في سافستي ، كانت تعيش امرأة ذات ولد وحيد ، ومات وحيدها ذات يوم بعد مرض طويل .

ولم تصدق الأم من هول الفاجعة ولم تقبل احراق جثة وليدها وراحت تفتش له عن دواء ، تطوف البيوت والامصار حـتى التقت ببوذا وطلبت منه دواءاً لابنها الذي سكت ولم يعد يتحرك من مـــدة فقال الصالح اني اعرف دواءاً وحيداً يعيد لإبنك الحياة :

اذهبي واحضري لي حبة خردل من بيت لم يمت فيه أحد .

وذهبت كساغوتامي ودخلت البيت الأول حتى اذا اعطوها الحبة سألتهم هل مات من بينكم أحد ؟

وهالها الجواب مات الكثيرون وبقي عدة اشخاص فقط . واعادت لهم الحبة وانتقلت الى بيت ثان وثالث ثم رجعت للمعلم ترجوه ان يرشدها الى مكان تجد فيه الحبة المطلوبة .

ــ في بحثك وجدت البلسم المر الذي كنت أود ارشادك اليه ، بالأمس كنتِ تبكين فقيدك واليوم عرفت ان العالم بأسره يبكي من ألم يشابه مصابك كلنا سنموت ولن ينفعنا اي تعلق بالأرض . وبكت كيساغوتامي .

وقال لها الصالح : اني مستعـــد للتضحية بدمي اذا كان ذلك يوقف دموعك ، لامناص من الموت فالولادة تقود إليه .

الموت اطرش لايسمع صوت المحبة . ولن يود راحة القلب ، عليه ان ينزع من جراحه سهم اللوعة والتفجع .

وقبلت كيساغوتامي باحراق جثة ابنها البريء .

٣ ــ واشتكى احد الرهبان من هول منظر النار التي كانت تلتهم جسد الصغير وتألم لمصيبة الأم ورآه بوذا فقال له : أتوسل اليك ان لا تحزن عند موتي .

وكان في الثامن والسبعين من عمره

٤ ــ وتوقف في طريقه الى مدينة (بلوفا) وقد اعياه المرض .

واستدعى الرهبان أندا الذي لم يصدق أن المعلم يمرض .

وقال المعلم : لن اشعر بالسعادة الا عندما ارتفع الى التأمل العميق وانسلخ عن العالم المادي ...

٥ ــ واكتست الأشجار بالازهار وازدانت الاراضي بأبهى الحلل العشبية رغم ان الفصل لم يكن موسم العشب الاخضر والزهر النضر (١) فكأنها عرفت ان هذه الغابة ستغدو قبر المعلم الحبيب .

٦ ــ وهرع الكثير من الناس وتوافدوا من كل حدب وصوب ، الاغنياء منهم والفقراء ، المرضى والأصحاء .

٧ ــ ولما ثاب بوذا الى رشده اقترب منه ابفانا ومنع عنه الناس فرجاه ان يبتعد ولا يخفي عنه اولئك الذين قدموا من بعيد وبعيد ليروه ويعودوه وقال لابفانا : لا تفرق بينهم فقانوني نعمة للجميع والرسالة التي أبشر بها نقية وطاهرة لا تقيم فروقاً بين الغني والفقير وبين المتكبر والمتواضع وبين الصغير والكبير فجميعهم سواسية .

---

(١) نفس ما هو معروف في الوجدان الشعبي عن ما يحدث عند موت العظماء ، وتتردد هذه الاسطورة عند بعض العامة من أهل الكتب السماوية ، انما الشكل الهندي لها هو الاهتمام الاكثر بالجمال الطبيعي والاكثار من ذكر الاعشاب والأزهار والعصافير ولا ريب فان الشعر الصوفي عندنا يمتاز بهذه الاوصاف تحت هذا التأثير . .

٨ واقتربت ساعة مصيره وبان ذلك عليه فراح اناندا في نوبة بكاء قائلاً :

ـ ايها المعلم مازال ينقضي الكثير كي تنتظم نفسي ، لم ابلـــغ هدفي بعد وستدخل النرفانا .

ـ لا تتفجع يا أناندا ولا تيأس ، ألم أقل لك ان على الانسان ان ينفصل عن كل ما يحب وما يعجبه . الموت شر يملأ الناس رعباً بسبب جهلهم فقط والحقيقة أنه الحل النهائي ، انه الطريق التي تؤدي الى الكمال والخلاص ولا يتناسخ وتتكرر ولادته إلا الشرير في هذه الدنيا المليئة بالآلام والشقاء

ـ ايها المعلم ماهي الاماكن التي يجب ان نقدسها عندما ستدخل في النرفانا ؟

ـ ثلاثة : حيث ولدت فهناك يتذكر الزائر شبابي والغابة التي فهمت فيها قوانين الكون والناموس وحصلت على الاشراق والمكان الثالث هو هذا الذي نحن فيه الآن وحيث يقدر المؤمن على القول : هنا ترك بوذا العالم وتخلص من كل صلة به ، هنا ارتفع المعلم الى النرفانا .

وكانت قواه تضعف شيئاً فشيئاً حتى سأله أناندا عن ما عليه ان يفعل بالجثة وأجاب المعلم :

ـ غطوا جثماني بأغطية قطنية وضعوها في تابوت من حديد مع البخور والحطب ثم اشعلوا فيها النار وعند مفترق اربع طرق (١) اقيموا لي ضريحاً وسكت المعلم واشتد ضعفه وأناندا بجواره يبكي .

٩ ـ واستدعى احدهم أناندا وهو الراهب سوبهـادرا ليقول له : « ان في رهبنتنا فقراء اختبروا الحياة وعركوها وقد قالوا أن بوذا سيترك العالم هذه الليلة واني اود رؤيته فأنا لا اصدق ان مثله يموت .

ومنعه أناندا من رؤية السيد المبارك لشدة اعيائه إلا ان هذا سمع الحوار فاستدعى اليه سوبهادرا ، وتقدم هذا منه وقدم اليه ضروب الولاء والتقديس قائلاً ان قانونك ايها المعلم قد فصل بين الحق والباطل وهدى الحائرين الى

---

(١) من الواضح ان هذه الرواية ، طرأت بعد عصر بوذا كغيرها من الروايات التي احاطت بشتى مراحل حياة بوذا واعماله الكبيرة التي مرت معنا ...

الصراط والحقيقة . ان رسالتك ايها الراعي الصالح قوية فطوبى للمؤمنين بها وهنيئاً لصحابتك وحواريبك الذين رافقوك في جهادك وعرفوا الناموس

١٠ — ولاحظ بوذا دنو أجله وقـــد بدأ واضحاً في أعين المحيطين به فقال لهم :

« لا يظن احدكم انه سيصبح بلا معلم بعدي ، ثقوا أن بوذا سيبقى لكم وان مات السكيموني . اوصيكم بالحقيقة الكبرى والقواعد التي ان تمسكتم بها لن تضلوا أبداً . ثم تابع بصوت واهن : انكم تتبعون الآن الناموس المصدق وتسيرون على النور المؤدي الى التحرر والنجاة فقـــد كسرتم القوقعة وعرفتم الحقيقة .

وانهارت عزائمه وانطفأ ذلك النور الذي أضاء للبشرية السبل وهداها في مسالك الظلام والجهل .

وخسرت الانسانية احد ابنائها الافذاذ .. وكبيراً من رجالها الصالحين ..

١١ — وكانت آخر كلماته الهامسة والتي لم يسمعها الصدى نفسه :

كل كائن معرض للموت والفناء والحقيقة خالدة فاعملوا لتنالوا الخلاص .

١٢ — وكان قد بلغ الثمانين من عمره ، ودخل المعلم في النرفانا .

وشعر انانداً انه يرى الشمس وكأنها مكسوفة والعصافير وكأنها انقطعت عن الغناء فوق ازهار اللوطس الوديعة (١) .

وهمد المحيطون به وهم يرونه جثة هامدة ولف الصمت بردائه المكان

١٣ — وبدد الصمت المخيم والحزن العميق صوت أنو روذا : لاتبكوا ولا تيأسوا فقد قال المبارك ان كل مخلوق فان والحقيقة موجودة في كل مكان إلا انها مخبؤة تبدو للباحث الجاد عنها .

ثم وقف أنانداً وطلب من كوسينارا ان يخبر الناس بموت المعلم الأكبر واهتز الناس وظنوا الظنون وبكوا وكأنهم لم يصدقوا النبأ . ثم جهزوا الزهور

---

(١) ان التشابه بين الطقوس البوذية وغيرها قد يعود لتسرب هذه الافكار انما قد يكون نتيجة رد فعل متشابه للضمير الجماعي امام قوى واحداث متشابهة .

والعطور والبخور وجمعوا الموسيقيين في اتجاه غابة صلحس .

هناك التفوا حـــول جثمانه المسجى ينشدون الترانيم ويرتلون الكتب المقدسة واتفقوا ان يواروه حسب الطقوس المعروفة .

لكن الجماهير الغفيرة أمّت المكان من كل فج عميق لتلقي عليه النظرة الاخيرة وتحية الوداع وتركع عند قدميه مؤمنة متبركة .

١٤ — ولم ينقل جثمانه الى سوركوسينارا إلا في اليوم السابع لكـــثرة الازدحام .... هناك ، غطي جثمانه بالاردية حسب وصيته ووضع في تابوت حديدي ثم اشعلت بعض النساء النيران والقي بالنعش الى احضان النيران المتقدة وارتفعت ألسنة اللهب الحمراء وأثر هـذا الموت المفاجيء للمعلم في نفس سوبهادر الذي تبوّذ قبل الوفاة بلحظات فقال :

لا تأسفوا عليه ولا تبكوه فقد انقذكم الموت من ازعاج هـــذا الأمير الزاهد لن أتبع بعد اليوم وصاياه وتعاليمه الثقيلة فسأعمل ما أشاء وحسب ارادتي دون ان اؤمن برجل مات . ولم يجبه أحد من الصحابة .

وكفر سوبهادر وكان اول المرتدين الخارجين على الدين .

* * *

١٥ — وانطفأت النيران ...

ثم اقترب الحواريون من النعش ووضعوا الرماد في وعاء حمـــلوه معهم وتكلم انوروذا المبجل فقال :

عند ما يبلغ الانسان الحكيم أخريات ايامه لا يقلق باله وقلبه بالموت والاحتضار بل ينتصر عليهما بثبات وهمة وينطفيء بهدوء .

١٦ — ووزع البرهمي ذرونا رفات المعلم بين تلاميذه والامراء والنبلاء الذين حضروا الاحتفال المهيب .

١٧ — وسارت الجماهير الغفيرة بحزن واسى تشق ببطء وركون شوارع لوسينارا . وكانوا امراء ونبلاء ، فقراء وحكماء يزحفون باكين وراء حاملي رفات المعلم الذي لم يخف الموت ولم يرهب الألم .

إنهم يودعون الى مثواه الأخير ، من عرف الحقيقة وبلغ المطلق ويشيعون الى أبديته من جسّد المحبة والفداء ودعا للتضحية والتسامح .

الجنة هنا في الارض ، في نفوس الناس والاجدى البحث عنها في الصدور لمتتحقق في الدنيا ، فهي الكمال الانساني .

والسائر نحو الكمال هـــو السعيد بجنته الرحبة ونعيمه الواقعي وعاش بوذا في جنة كانت في حياته اليومية فوق الألم والخوف ، فوق اليأس والقلق عاش بلا اضطراب ولا ازمات نفسية ولا اجهاد أو نصب .

وداعة في العمر واطمئنان للأيام وهناء ذاتي وراحة في النفس والضمير ...

١٨ ــ وكان المشيعون يسيرون ، ويسيرون في جنازته المهيبة ، وفي نفوس الناس رهبة وخشوع ...

١٩ ــ وكانوا في صف طويل كالنهر وفي آخر القافلة الطويلة كان راهبان يتحدثان :

قال كبيرهما لرفيقه :

« اليوم عرفت ما هو الموت : انه الكمال » .

★ ★ ★

٢٠ ــ واسدل الليـــل استاره .

---

(١) في الاخبار أن هذا الرفات وضع في ثمانية قبور وبعد هـــذا بقرن جاء احد الملوك البوذيين واخرج هذا الرفات وأمر بوضعه في ثمانية وستين قبراً تذكاراً للرجل المبارك وقد يكون في هذا العمل رمز يدل على التماس المؤمنين بركة تلك القبور المتعددة ...

الفصل الخامس

مستخبات

القسم الاول

مختارات من التأملات والافكار البوذية

خواطر بوذية في المحبة

المحبة في البوذية اسمى منهـا عند افلاطون وأكمل اخلاقياً وانسانياً . ويتقارب المفهومان البوذي والمسيحي لها تقـارباً شديداً . وللمحبة دورها الاخلاقي الرفيع عند بعض الفلاسفة المعاصرين : « انها الاسم الحقيقي للمثل الأعلى الاخلاقي » كما يقول غبريال مادينيه ، وينظرون اليهـــا نفس النظرة او الايمان البوذي بها .

١ — تأملت في الشفقة والمحبة فنسيت الفرق بيني وبين الآخرين

ميلاربا

٢ — احبوا قريبكم كما تحبون نفوسكم فذلك لخير الجميع ومنفعتهم المتبادلة .

٣ — القِ جانباً بالاساءة للغير وبالغضب واعرض عن الاحتقـار وسوء النية ولا تغذِّ في نفسك الحقد حتى ولا على الذين يسيئون اليك . فليكن لنا تجاه جميع المخلوقات الحية عواطف النبل والمحبة وحسن التعامل .

دافيد نيل

٤ — ما هي غاية كل عمل اقوم به ؟ انهـــا المخلوقات الاخرى لاجعلها سعيدة آمنة في هذه الدنيا واجعلها تكسب النعيم في الحياة الأخرى ...

رقيم على صخرة الملك أسوكا

خواطر بوذية في السعادة

رأينا في السعادة الحقة التي يبتغيها البوذيون هي تلك الحالة التي يصل اليها في قضائه على رغباته المتغايرة وأنانيته وجشعه . انها في المحبة والوداعة والفضيلة

القناعة هي السعادة والسعادة هي الجنة أو الفردوس الارضي الذي ينشده كل بوذي مؤمن بان سعادته هي في صدره أو على حد قول السيد المسيح : ان ملكوت السموات هنا في نفوسكم . لا يفتش البوذي عن نعيم بعد الموت .

١ – إني اعتبر سعادة الحيوانات كهدف عندي ينبغي عليّ أن اكافح دائماً للوصول اليه أو بلوغه قدر الامكان .

من احاديث الملك أسوكا

٢ – ان جميع المخلوقات تبغي السعادة ، فليشملها عطفك اذن وليتسع لها بأجمعها .

ماهافما

٣ مفعما بالحب لجميع الأشياء الموجودة في العالم ، ممارساً الفضيلة لمنفعة وخدمة الغير ، ذلك الرجل وحده هو السعيد .

فاكهوبيو

٤ – جميع الكائنات الحية مهما كانت ضعيفة او قوية ، صغيرة او كبيرة ، مرئية او غير منظورة ، لكل منها الحق في نشدان السعادة .

متى سوترا

٥ – لن يلقى السعادة ذلك الذي يبذل جهده للوصول الى سعادته الشخصية ، بأن يسيء معاملة أو يبيد الكائنات التي هي أيضاً تنشد السعادة

ذاماپادا

٦ – هناك ، في موت الانانية ، تكمن السعادة الحقة .

أدانا فارغا

٧ – يكون القلب القنوع في سعادة ابدية .

فوشوهنغ تسان كنغ

٨ – السعادة في الفضيلة وفي المحبة ونكران الذات لا في اللذة واشباع الشهوات (١) .

من البوذية المستحدثة

---

١ – هذه التأملات مترجمة عن كتاب : « تأملات بوذية » تأليف سيمون غريني .

تأملات بوذية في الغضب

اذ يرى البوذي الراحة الذاتية الداخلية في المحبة والتغلب على الأنانية فانه يجد في الغضب رذيلة وأمراً يؤدي الى التعاسة والهدم وهكذا فان من التعاليم المهمة على المؤمن ان يكبح غضبه ولا يتنازل عن هدوئه ووداعته ...

١ — لم يخلق الجحيم أحد من الناس ، ان نار العقل المرخي زمامه للغضب هي التي توقد الجحيم وتحرق فيه صاحبها . مولا مولي

٢ — عند ما يحـــدث الانسان شراً يشعل بيده نار الجحيم فيحترق في جهنم أوقدها بنفسه . مولامولي

٣ — سيطر على الحنق ولا تكره احداً صغيراً كان أم كبيراً ، انساناً كان أم حشرة . اياك ان تنقاد لجوامح القلب المتأججج بالغضب .
فوشوهنغ تسان كنغ

٤ — الغضب ! ياللاسف كم يغير من وجوه وكم يذوي جلال الجمال وهيبة الرجل الوادع . فوشو هنغ تسان كنغ

٥ ان الجامح غضبه حوذي ماهر لحياته الداخلية أما المندفع وراء غضبه فما هو الا ممسك أعنة لايملك زمامها . ذاماباذا

النرفـــانا

حياة التأمل اعتبرها ارسطو وقبله افلاطون اسمى حياة يبلغها الانسان .

١ — هي منبع القداسة ومصدر الوداعة والجمال الروحي .
انها الروعة القائمة في العدالة . عن الملك ملندا

٢ — خفف ايها الرفيق ذلك القارب الثقيل ، فهو مفرغ ينساب الهوينا ويتهادى بارتياح . وأنت ! ايها الرفيق تحرر من الرغبات والضغائن فانك متحرر لاشك بالغ النرفانا ومتجه اليها . ذاماباذا

٣ — هم المستغرقون في التأمل ، المكافحون ببطولة وشهامة دون كلل ، اولئك وحدهم الذين يبلغون النرفانا وهم العاقلون الذين يدركون الغنم الذي يتخطى جميع المكاسب الدنيوية . ذاماباذا

٤ — ان من عمرت قلبه الطيبة ، ذلك الراهب المتعلق بعقيدة بوذا هو الذي سيبلغ الملكوت الأعلى حيث الخلود والاطمئنان والغبطة ذاماذا

٥ — عندما ترتفع الامواج أو تزبد وترغي هل يجد ملاذاً من رزح تحت عبء الشيخوخة والموت او هل يلقى جزيرة تأويه ؟ كلا والف كلا فلا جزيرة إلا هناك حيث لاتعلق بشيء ولا ارتباط وهي التي اسميها النرفانا ، نهاية الشيخوخة والموت . سوتانيباتا

٦ — كنت تائهاً في دروب التناسخ وعبثاً كنت ابحث عـــن باني البيت (الجسم) ياله من ألم ان نتناسخ دائماً نموت ثم نولد ثم نموت ثم نولد ...
واكتشفتك أخـــيراً ايها المشيد للبيت فكسرت الأبواب وهدمت الركائز والجدران .

عندها ، عندما تخلصت روحي من الجسم الفاني والدنيا الزائفة بلغت نهاية المطاف الغبطة القصوى . متى سوتا

تأملات في الموت

المؤمن لايهاب الحق والموت حق ، لذا فالبوذي لا يرى في الموت مايرهب أو يفني حياته والنظرات البوذية هنا شديدة القرب والشبه بالنظرات الرواقية ولعل مصدر المذهب الرواقي يؤوب الى الهدوء الى حد ما . الموت لا بد منه فلا ضرورة أو جدوى للتعلق المستميت بالدنيا والاشياء ...

١ ــ لا يرهب الموت من عرف ان جسمه شبيه بفقاعة الصابون وأقل صلابة من سراب خداع ... ذاماباداا

٢ ــ يُغِمُّ هذه الدنيا الموت والزوال . ولا يغتم الحكيم ولا يرهب لانه يعرف نهاية الأشياء ومصيرها . سالاسوترا

٣ ــ لايعرف الأعمى ان كل فرد منا ذائق الموت وعليه ان يترك الدنيا ذات يوم . اما الذي يفكر ويتأمل في زيف الدنيا وبطلانهـا فانه يحوّل الى غبطة وسلام جميع المشاكل والمتاعب . ذاماباداا

٤ ــ من الأحسن ان نموت في العدالة على ان نحيا في الظلم . لودا سنغرهايا

٥ ــ من الأفضل لي ان اموت وانا اعارك الشهوات والشر على ان احيا مغلوباً على امري من جرائها . بذاما سوتا

٦ ــ من الأحسن ان نخسر الحياة على ان نخالف ما نعتبره هدفاً لنا .

تاشوانغ يان كنغ لون ــ (الموعظة٤٤)

٧ ــ اعتبر الدنيا بنفس النظرة التي تلقيها على حباب الماء أو بنفس الاعتبار الذي ترى به السراب . ان من يرى الحياة بهذه النظرة الفوقية لا يراه ملك الموت ابداً ... ذاماباداا

٨ ــ الى اين ؟ هل اصبحت سيد العالم المطلق ؟ حتى وان ملكت الدنيا قاطبةً فانك لابد تاركها ساعة الموت !!!

اذا تخليت عنها منذ البداية ، اذا زهدت بمباهجها ومسراتها فستبقى وادعاً الى الابد هادئاً حتى النهاية . ملاربا

القسم الثاني

مختـــــارات

من الأناشيد والترانيم البوذية والفيدانتية

تعريب المعلم : كمال جنبلاط

١ـ مختارات من : كريشنا مورتي
٢ـ مختارات من : الاوبانيشاد
٣ـ مختارات من : نشيد النور
٤ـ مختارات من : في وهج التوحيد

١ - مختـــارات

من : كريشنا مورتي

الترنيمة الاولى

كما تختبيء الألوهية في زهرة ،
هكذا يقطن حبيبي في نفسي .
وكما يسكن الرعد في الجبالـــ ،
هكذا حبيبي هو في قلبي .
كصياح الطير في الغابة الساكنة ،
هكذا ملأني صوت حبيبي .

☆ ☆ ☆

جميـــل كالصبح ،
هيء كالقمر ،
صـــاف كالشمس ،
هو حبي لحبيبي .

* * *

كما تنحـــدر الشمس
وراء الجبال القانية ،
بين السحب الكبيرة .
ورياح الصبا التي تهمس في الأشجار .
هكذا نزل في ذاتي حبيبي ،
في سبيل مجد قلبي ،
في سبيل مجـــد روحي .

☆ ☆ ☆

كما يهتدى الأنسان ،
في الليلة الظلماء ،
بالنجوم البعيدة .
هكذا يرشدني حبيبي ،
فوق امواج الحياة .

* * *

حقاً إني قد فتشت عن حبيبي ،
فوجدته قائماً في قلبي .
ان حبيبي ينظر بعيني
لاننا اصبحنا الآن
حبيبي وأنا كائناً واحداً .

* * *

اضحك معـــه
والعب معـــه

* * *

إن هذا الظلال ليس ظلالي ،
هو ظلال قلب الحبيب ،
لأننا اصبحنا الآن ،
حبيبي وأنا كائناً واحـــداً

الترنيمة الثانية

يا حبيبي ،
أنت الخلاص ،
وأنت منتهى كل أمل
وأنت تتميم مشيئة الحب

* * *

ويا حبيـــبي ،
أنت جمال الحقيقة الذي لايزول ،
أنت تحقق كل فكرة
أنت زهرة كل ورع

* * *

ويا حبـــيبي ،
ويا حـــبي ،
ان الشمس هي وراء التلال الأرجوانية
وأنا ، كالنجمة المنفردة
وقفت
اتعبدك .

* * *

أنت وأنا ،
قد تلاقينا ،
يا حبيـــبي ،
ألست أنت ذاتي ؟
ألست أنت أريج قلبي الفوّاح ؟

* * *

انا حبيبك ،
وانت هو حبيبي .
انت رفيقي
لم تتخلف عني جيلاً بعد جيل .
انا ظـــلالك
في حديقة الأزل .

الترنيمة الثالثة

'قدّر لي ،
يا صـــديقي
أن ابصر وجه الحبيب

* * *

ابتسامته
قد غمرت قلبي ،
كما أن مياه الانهار
تغني وتفرح باستمرار ،
هكذا ياصديقي ،
تغتبط نفسي
في ضياء حبّه الساطع .

* * *

كما تبدو أعالي الجبال ،
في مغيب الشمس ،
كأنها ترتفع مبتهجة هانئة
فوق الأرض ، وقد بدأ يخيم عليها الظلام ،
هكذا ، ياصديقي
جعلتـــني
رؤية حبيبي ،
نقياً صافياً ، هانئاً .

* * *

كما ترتفع السحابة السوداء ،
فتزيح النقاب عن وجه الجبال الضاحك ،

هكذا ياصديقي ،
تـــوارى
ظل الحياة
عندما اقترب الحبيب .

* * *

كما تبدّد حرارة النهار
ضباب الصباح ،
هكذا ، ياصديقي
ضمني حبيبي اليه
مبدّداً فيّ شعور الفراغ

* * *

كالوادي العميق
الراقد في فيء الجبـــل ،
أســـتريح ،
يا صديقي ،
في ظل يـــد
حبيـــبي

* * *

كوردة
تنمو حولها الاشواك
هكذا انا قائم ، يا صديقي ،
بين الاشياء التي تمرُّ وتزول

* * *

كما يتكون مجـــد اليوم
من ظلمة الليل ،

ومن ضياء النهار ،
هكذا ، ياصديقي ،
تكوّن مجدي .

* * *

كالمطر ينهمر غزيراً ،
فيغمر الانهر
هكذا ، ياصديقي ،
اثقلني حبيبي ،
وغمرني بحبه .

* * *

لقد انتظرت الأجيال هذه الساعة ،
ساعة تلاقيت مع حبيبي .

الترنيمة الرابعة

منذ ان لقيتك ،
يا حبيبي ،
ما عدت أعرف الوحدة .

* * *

انا غريب
بين جميع الشعوب ،
وفي كل بلد من بلدان العالم ،
لكنني أشعر بين جمهرة المجهولين
كأنه يغمرني ، بكليتي ،
عبق الياسمين .
هم يحيطون بي

ولكني لا أعرف الوحدة .

* * *

أبكي على هؤلاء المجهولين ،
كم هم موحودون !
في وحدتهم العظيمة ،
يغمرهم الخوف ،
فيستصرخون
أناساً موحودين مثلهم في نفوسهم .

* * *

أنا المدعو إلى مائدة هذا العالم ،
عالم الاشياء والكائنات الفانية .
اصبحت منعتقاً من جميع القيود
لا أنتسب إلى وطن
ولا توقفني حدود .

* * *

ويا صديقي ،
أبكي عليك .
إنك تحفر عميقاً اساساتك
ولكن ها إن بيتك يتهدم في الصباح .

* * *

وياصديقي ،
انهض معي وتعال ،
لنسكن منزل حبيبي .
انك تهيم على وجه البسيطة ،

ولا تملك شيئاً ،
ولكنهم سيستقبلونك
كما يستقبلون الربيع البهيج ،
لانك تصطحب ،
رفيق الجميع
معك .

* * *

وياصـــديقي ،
اجعل اقامتك قربي
فقد أصبح حبيبي وأنا كائناً واحداً .

* * *

الترنيمة الخامسة

كالجـــدول
الذي يزداد قوة في سفره الطويل ،
فيحيي السهول المقفرة والاشجار الكبيرة المنحنية ،
ويرقص طول الطريق حتى يبلغ البحار الواسعة ،
ويدرك التحرر ،
هكذا توحدت فيك

* * *

كان السفر طويلاً
على طريق الزمن المجهولة ،
حيث كانت تنبعث من اصغر أفنان الشجر ،
الحان تتمدد وتتجسّم كخرير المياه ،
وحيث كانت اصغر بركة ماء ،
تعكس مجد السموات ،

فيتصور مجد السموات في ركودها الآسن ،
وحيث أي زاوية هادئة
تنقلها رائحة الموت .
لقد كافحت زمناً طويلا ،
وسبحتُ في تيار المياه الجارف
واكثر من مرة ، بعد أن خارت قواي
رُميـــت
على ضفاف الزمن التي تغطيها الصخور

* * *

سئمت كل اختبار جديد ،
على أني استمد قوتي من السأم ذاته ،
فأسرع في سعي
الى المكان الذي فيه تتلاقى المياه الحرة
في زمجرة داوية
بالسواقي الخفية .

* * *

لقد تحررت من الزمن
وأضحيت لاتشملني محدوديات المكان ،
فأصبحت شبيهاً بقطرة الندى
التي تنشأ منها البحار الواسعة

* * *

آه ! إن حشيشة اللوتس يملأ مجـــدها شمس الصباح الطالعة ،
واني أفتح قلبي لك ، ياحبيبي ،

الترنيمة السادسة

كما ترتعش في ريح الصبا
ورقة الحور ،
كذلك يرقص قلبي ويخفق حبًّا لك .
كما تتلاقى السواقي المنحدرة من الجبال
في الصخب ،
وفي الفرح ،
كذلك ياحبيبي تلاقينا .

* * *

كما تشتعل قمم الجبال
عند غروب الشمس
فتهيج حنين الوادي ،
هكذا تسربل كياني بالمجد .
كما تسكن اصوات الوادي في غسق المساء ،
هكذا ادخلت الى نفسي السكون والسلام .
إن قلبي تملؤه
محبة الف جيل
وعيوني تتطلع اليك .

* * *

كما تزين الكواكب الليل ،
كذلك وهبت نفسي الجمال .
لقد توصلت الى السكون الصافي الهنيء ،
سكون الصورة المنحوتة .
كالبزرة التي تصبح شجرة متطاولة باسقة ،

فتحتضن الف طير فرخ
وتظل بفيئهـــا
المسافر المتعب ،
هكذا كبرت نفسي
في حركة سعي اليك .

* * *

كما ينصبّ النهر العظيم في البحار ،
هكذا مشيت اليك ،
ونفسي غنية من السفر الطويل .
غنية بخبرة الاجيال .
ويا حبيـــبي ،
كما يمتزج الندى
بالعصارة التي تغذي الزهرة ،
كذلك اصبحنا أنا وأنت الآن واحداً .

* * *

ويا حبيـــبي ،
لن تكون فرقة بيننا فيما بعد ،
ولا عزلة ،
ولا هموم ولا كفاح .
حيث توجهت
احمل مجد حضورك
لانك أنت وانا واحد ، يا حبيبي .

٢ ــ مختــارات

من : المندا كا اوبا يشاد

الترنيمة الاولى

١ ــ هذه هي الحقيقة ، مثلما تنطلق ، بالألوف ، من النار الملتهبة ، الشرار المماثلة بطبيعتها للنار ، كذلك ، ياحبيبي ، مِنَ الذي لايزول تولد الكائنات المتنوعة وإليه ترجع .

٢ ــ سماويٌ حقاً ، منزه عن الجسد هو الكائن . يحوي كل ماهو ظاهر وما هو باطن ، لم يولد ، وليس له نفس ولا عقل عاقل ، هو طاهر ، يتعدى الذي لا يزول والذي بدوره يتعدى كل شيء .

٣ ــ منه يولد النفس الحي والعقل العاقل وجميع اعضاء الحواس ، الفراغ والهواء والنور والماء والتراب الحامل لكل شيء .

٤ ــ النار رأسه والقمر والشمس عيناه آذانه ، والفيدا الموحاة كلمته ، نفسه الهواء والدنيا كلها قلبه ، الارض تنبثق من اقدامه وهو الروح الباطنة لجميع الكائنات .

٥ ــ منه تحدث النار وعيدانها الشمس ، ويحدث المطر من القمر ، ومن المطر النباتات التي هي على الارض ، الذكر يبذر البذر في الأنثى ، والمخلوقات المتنوعة تنبثق من الكائن .

٦ ــ منه صدرت اشعار الريغفيدا وانغام السما فيدا ، وتعابير اليجور فيدا والتكريس والأضاحي ، وجميع الحفلات الدينية وبدَل الطقوس ــ العام والمتقرَّب والعوالم التي ينيرها القمر (١) والشمس .

٧ ــ هو الذي كوَّن بشتى الطرائق الآلهـــة والجن والبشر والمواشي

---

(١) عالم الآباء وعالم الآلهة .

والطيور ، والنفس العلوي والنفس السفلي ، والأرُزّ والشعير ، والزهد والإيمان والدقة والمسلكية البرهمانية والقاعدة .

٨ — منه انبثقت الانفـــاس السبعة واللهب السبعة ، والعيدان المشتعلة السبعة ، والقرابين السبعة والعوالم التي تجري فيها الانفاس المقيمة في اعماق الأعماق والموزعة سبعة فسبعة .

٩ — منه نشأت البحار والجبال جميعهـــا ، ومنه تجري الأنهر المتعددة الاشكال منه ولدت جميع النباتات والعصارة التي تغذيها . هو الذي يقيم في الكائنات كالروح الباطنة ('لداخليه) .

١٠ — الكائن هو كل هذا : فعل وزهد ، برهمان وخلود مطلق . فالذي يعلم ان الكائن ، يسكن في اعماق الأعماق ، هو الذي يقطع عقدة الجهل، ياحبيبي

الترنيمة الثانية

١ — لقد اصبح المقر العظيم متجلياً الذي يدعى الطريق السرّية ، فيه استقر كل شيء يحرك ويتنفس ويطرف بعينه . إعلم انه اعذب من الحقيقي ومن اللاحقيقي ، وأرفع من المعرفة ، هو أفضل ما تسعى إليه المخلوقات .

٢ — الذي هو ساطع والطف من اللطافة ، والذي عليه ركزت العوالم وسكان العوالم : هذا هو البرهمان الذي لا يفنى ، هو النفس ، هو الكلمة ، هو الروح هو الحقيقي الخالد ، اعلم ياحبيبي ، انه هو الهدف الذي عليك ان تصيب

٣ — متخذاً سلاح الاوبانيشاد العظيم قوساً ، فليضع فيه السهم المحدّد بالاجلال وليشده بواسطة روحه التي ادركت الكينونة . اعلم ياحبيبي انه هذا هو الهدف الذي يجب عليك ان تصيب .

٤ — لفظة أوْمْ هي القوس والأتمان (روح الانسان الحقيقية) هي السهم ، والبرهمان هو الهدف كما يعلمون . يجب أن تصيبه دون ان تتلهى عنه او تتحول . يجب ان تصير مماثلاً للسهم .

٥ — الذي منه نسجت السماء والأرض والفضاء بينهما ، والروح وجميع

الانفاس ، إعلمه هذا الاتمان المنفرد ، تخل عن كل مقال سواه . فهو الجسر نحو الخلود .

٦ــ إن الشرايين قد ركزت فيه كالشعاع بمحور العجلة ، فهو الذي يتحرك في الداخل متجلياً بشتى الأشكال ، تأمل الأتمان بصورة أوْمْ . ليكن السلام معكم حتى تدخلوا الظلمات .

٧ ـ الذي يعرف كل شيء ، الذي يعلم كل شيء هو الذي ظهرت عظمته على الأرض هذا الاتمان يقيم في الجلد في قلعة البرهمان السماويّة .

٨ ــ هو مكوّن من فكر . يقود الأنفاس والجسد ، ويستقر في الطعام . ويتجمع في القلب ، يلقاه الحكماء بفضل المعرفة ، هو الذي يتألق خالداً صورة للسعادة .

٩ ـ تنحل عقدة القلب ، وتنحل الشكوك وتنفد نتائج الأفعال لما يبصر هذا بوجهه العلوي والسفلي .

١٠ ــ في الغشاء الذهبي يقيم البرهمان ، طاهراً ، غير قابل للتجزئة ، يسطع . هو نور الانوار ، هذا الذي يعرفه عارفو الأتمان .

١١ ــ فيه الشمس لا تتألق ولا القمر ولا النجوم . ولا تومض فيه البروق . وبالحري هذه النار ، يلمع وكل شيء يلمع من بعده . بتألقه كل ماهو كائن يتألق .

١٢ ــ هذا هو البرهمان الخالد ، ينتشر البرهمان في الشرق ، وفي الغرب البرهمان وفي الجنوب وفي الشمال وفي أسفل وفي عَلٍ . هذا هو البرهمان الذي هو كل شيء ، هو الافضل .

الترنيمة الثالثة

١ ــ طائران رفيقان اليفان تعلقا بالشجرة ذاتها ... أحدهما يأكل تينة شهية ، والآخر يتأمل فيه بِجِدَّةٍ .

٢ ــ في الشجرة ذاتها غار الانسان . يتألم من ضياع سيادته ، ضالاً . فإذا ما أبصر رفيقه الآخر السيد مرتضياً منفرجاً في جلاله ، إذ ذاك يبطل غمه .

٣ – عندما يبصر المبصر « هذا الذي لونه الذهب » الباري ، المولى الكائن ، رَحِمَ البرهمان إذ ذاك ينفض عنه في حكمته الخير والشر ويرتفع مجرداً من الدنس الى وحدة الذات المطلقة .

٤ – هو النَفس الحي الذي يتوهج (يتألق) خلال جميع الكائنات الحية فالذي يحيط به علماً والذي يعرفه يكف عن البحث فيما بعد .

والذي يتاعب في الأتمان ، والذي يبتهـــج في الأتمان ، والذي يجري الطقوس . ذاك هو الافضل بين الذين يعرفون البرهمان .

٥ – إن هذا الأتمان يدرك ويعتصم بالحقيقة ؛ وبالتقشف وبالمعرفةِ الصواب وبرياضة برهمانية مداومة ، هو في داخل الجسد مصنوع من نور ، نقي . هو الذي يبصره النسّاك عندما تنفد خطاياهم .

٦ – الحقيقة وحدها تنتصر لا الضلال ، بالحقيقة يمتد الطريق الذي يوصل إلى الآلهة ، الطريق الذي يسلكه المشاهدون ، المتممة رغباتهم ، الى المعين المطلق للحقيقة

٧ ذاك هو العظيم والآلهي والذي لا تدرك صورته ، والالطف من ذاك هو الذي يتألق ، ابعد من اليقين ، وهو هنا قريب قريب (قريب جداً) هو هنا حقاً في صميم الذين يبصروه ، محجوب (مختبيء) في اعماق داخلهم .

٨ – لايدرك بالعين حتى ولا بالكلمة ولا بواسطة الآلهة الآخرين ولا بالزهد ولا بالعمل الطقسي . بل بنعمة المعرفة ، إذا ما عكف الكائن المتطهّر على التأمل يبصره غير قابل للتجزئة .

٩ – هذا الأتمان اللطيف يجب عليك ان تعرفه بالروح ، فيه دخل النفس باشكاله الخمسة ، والانفاس هي التي تنسج كل فكر المخلوقات ، وعندما يتطهر (الروح) يتجلى فيه هذا الأتمان .

١٠ – ان عالم توهمه ، و أية رغبات تصورها ، يظفر الكائن المتطهر بهذا العالم وبهذه الرغبات . فعلى الذي يطلب النعمى ان يكرم عارف الاتمان .

٣ ــ مختـــارات

من : نشيد النور

✲ في مطلع الفجر اطفو كالورقة الغافية على سطح الغدير الهادىء .

✲ اصغ الى النغم يذوب في النغم كأن كل شيء قد شق من نغم الوجود الفريد

✲ كل شيء حرام فيما عدا الحرام الذي هو حجابك ، وكل هـذا حلم من احلامى تعتريه سكرة الوعي فيفيق . ايها السكارى في حلم الخليقة ، لم يكن هنالك خليقة ، ولم يكن هنالك حلم ، وليس هنالك الا محض الوجود

✲ ياحبيبي أنا نور من نور نسجته يد الكواكب ، وكل ما في الضياء نور : نور وجهك الفريد

نشيدي صياح في وجه النور ، فاطفىء الأنوار ياحبيبي ، واصغ الى النور ! .

من شواطىء السلام ارتفعت ، وعلى شواطىء السلام امّحى ، موطني عبق نسيم القدس ان هب الوجود ، (اي الوجود الظاهر) . ونعيمي يقظة في سعير المجد الذي يحيط بجوهري القدوس كلّي طهر إذ تعريت من كل ما ليس لي .

فلست بغني ولست بفقير ، وهل يملك العدم ؟

✲ ذا الجسد يولد وينمو ويزول كأنه قميص من النور يخلعهـا وهج النور فتذوب في النور ، وذا الفكر ان يطمئن ، يضمحل في الصمت الذي هو العلم اليقين والذي هو كل شيء .

كل علم يضيع ان خرجت من افق النور .

والنور يقظه الحالم عند ما يأذن الصحو .

★ ★ ★

✲ فياحبيبي ، احصد سنابل النور على جنبات طريق الجسد والفكر ، وارم بها في اتون طهر الجوهر .

الليالي تمر والزمان ليلة من ليالي مجدي .
يذوب اللازمان حيث القدوس يشع بالقدوس
سبح ان شئت ، فما التسبيح إلا ترداد حبي ،
كل حب إلى حبه يستحيل .
واللذائذ الشهيات صدى السلام يعود اليّ .
فحيثما توجهت في الأزدواجية لا ارى إلا سلامي
فاملأ الاقداح ياساقي الرب فانني وإلهي واحد .

* * *

في المساء عند ما يغرب النور ، تسطع شمس حبي .
ظلمتي الجهل في اعتقادي بانني « أنا هوذا الفاسد » (الجسد) .
فان أظلم النور عن الجسد ، وَلجتُ حجرة اليقين ودخلت
الى حيث هو المعلم .

٤ ـ مختـــارات

من : في وهج التوجيد

مقاطع من يوغافازيستا

١ ـ مستقراً في حال الامتلاء الذي يسطع ، بعد ان تكون زهدت بالرغبات ومطمئناً في حال الذي ـ بالرغم من انه لايزال حياً ـ هو ميت ، اعمل وكأنك تلعب في هذه الدنيا ياراغافا .. !

٢ ـ حراً من كل رغبة في الباطن ، ومجرداً عن الشهوة وعن التعلق ، ولكن نشيطاً في الظـــاهر في جميع الاتجاهات ، أعمل وكأنك تلعب في هذه الدنيا ياراغافا ... !

٣ ـ متصرفاً في الظاهر ، تصرفاً شريفاً ، طافحاً بالعطف والحنان ، وفي الظاهر مراعياً التقاليد والعادات ، ولكن ، في الباطن محرراً منها ، أعمل وكأنك تلعب في هذه الدنيا ياراغافا .. !

٤ ـ مدركاً فناء جميع مراحل الحياة واختباراتهـا ، أقم ، بتصميم كامل في حال الرفعة المتعالية المتسامية واعمل ، وكأنك تلعب في هذه الدنيا ياراغافا.. !

٥ ـ بدون اي تعلق في اعماق نفسك ، ولكن عاملاً في الظاهر كمن هو متعلق لاتتحرق في الباطن ، ولكن في الظاهر كلك حرارة وحماس ، اعمل وكأنك تلعب في هذه الدنيا ، ياراغافا .. !

٦ ـ في الظاهر مجتهداً في أداء العمل ، ولكن حراً في قلبك ، نشيطاً في الظاهر ، ولكن في الباطن هنيئاً صافياً ، اعمل وكأنك تلعب في هـــذه الدنيا ياراغافا .. !

٧ ـ عالماً جوهر كل كائن ، العب في الدنيا كما تريد ياراغافا .. !

٨ ـ حراً من كل انانية ، والفكر هادىء ، منيراً في فلك العقل متجرداً عن الدنس الى الأبد ، اعمل وانت تلعب في هذه الدنيا ياراغافا .. !

٩ ـ متحرراً من الشهوات العديدة ، متساوياً مع ما انت عليه من خلال الافكار التي تمر ، وفي الظاهر منصرفاً الى الأعمال التي هي من طبيعتك ، سر عبر الحياة ياراغافا .. !

★ ★ ★

١ ـ بين وسائل التحرير .
البهاكتي Bhakti هو اقدرها .
ـ أي الحب .
الذي هو ، كما تعلم ذلك ،
التفتيش فيك ، الاكتشاف فيك .

★ ★ ★

٢ ـ في الحقيقة الالهي .
هو في داخلك ،
كائناً سامياً مطلقاً ، نعيماً داخلياً رزيناً .
هو موجود يظل ولا يزول ،
لاتالي له غير قابل للتجزئة ،
شعشعة الوعي المطلق
الشاهد على الفعل
فيما يتعدى الوجود واللاوجود
الالهي هو الكائن الحق في جميع المخلوقات .
٣ ـ هذا البراماتمان Paramatman
هذا الذي يتعدى الوجود واللاوجود ،
طبيعته محض معرفة ،
هو نور في داخل الكائن ،
يظهر الظواهر (المدروكات) .
التي هي في الحاضر والتي هي المستقبل .

وهو بالرغم من ذلك متميز عن البراكريتي Prakriti المادة الازلية
ذات الصور المتحوّلة .
اعلم انه هو كيانك ، اشعر انه هو كيانك ،
ان كنت نائماً او كنت تحلم او كنت في صحو هو عـــلى عقلك
الشاهد لاغير .

* * *

٤ ـ كيانك الداخلي الازلي
يتجلى فيك
وفي جميع الكائنات
نوراً ثابتاً في داخلك ،
ابصره فيك
ان كنت نائماً او كنت في حلم او في صحو ،
هو فيك ،
الشاهد الذي يراقب
هذه الصور المتنوعة ، هذه الصور المتبدلة .
هو عنصر كيانك المنبثق من (الأنا) ،
تلك (الفكرة الجذور) ،
اشعر به ايضاً ازلية وغبطة ويقظة ،
في قلبك ،
حقق هـــذا
الذي هو كيانك .

* * *

٥ ـ بفكرك الذي تصوب واتزن
وبعقلك العاقل الطاهر الصافي
حقق هذا ـ اتمانك ـ Atman
وقل « انا هو هذا »

مجتازاً بذلك السمسكارا Samskara (إرث الأفكار والرغبات والأعمال) ، الاوقيانوس الذي ليس له قعر .
او اوقيانوس الموتات والولادات اللامحدود
وإذ ذاك تعرّف الى الفرح
فرح الذي بلغ جوهره الخاص
واستقر على الدوام ـ برهمان ـ Brahman ذاته (١)

* ✧ *

٦ ـ هذا ، على كل شيء الشاهد ،
هذا ، نور ذاته
في غـــلاف العقل
على الدوام يسطع
عالماً أنه فيما يتعدى الوجود
وفيما يتعدى اللاوجود ،
وجاعلاً إياه هدفك النهائي المطلق ،
توصل اليه بجهد لايهادن ولا يتوقف ،
عالماً انك لا شيء
لا شيء سوى ذلك

* * *

٧ ـ لطيف هو البراماتمان Paramatman
لا يستطيع الكثيف ادراكه .
يستطيع الوصول اليه
الفاضل الطاهر
في ذلك السلام المتعالى Transcendant

---

(١) الاتمان والبرهمان هما شيء واحـــد ، جوهر الوجود ، ولكن الاتمان هو بالنسبة للانسان والبرهمان هو بالنسبة للعالم .

الذي تصنعه التقوى المتيقظة .

٨ ـ عندما يذوب هكذا في البرهان

بجهد مثابر مصنوع

عند ما يذوب العقل

فالسلام الذي يحل فيك اذ ذاك

ـ سافيكالبا سمادي Savikalpa Samadhi

يجتاز حدوده من تلقاء ذاته

ويصبح وعياً رفيعاً مطلقاً

ـ نيرفيكالبا سمادي Nirvikalpa Samadhi الغاية والنهاية

العظيمة حيث لا يعود هناك (أنا وانت)

حيث لايعود هنالك سوى الواحد L'un

٩ ـ سمادي Samadhi الفرح الجوهري .

الذي يقطع جذور واغصان

شجرة الفكر بصورها ونزعاتها

ويقطع الاعمال التي تسببها

السمادي الذي اصبح

التجلي العفوي للكائن الحق الفريد الى الأبد

في داخلك وفي خارجك وحولك في كل مكان

١٠ ـ برهان الحقيقي الواحد الفريد

هو في القلب ذاته ، في قلب الكائنات العميق

فيما يتعدى الظواهر

المتجلية والباطنة

فالذي يقيم في قلبه الخاص الذي اصبح (هذا)

يتحرر من جميع الولادات الحكيم شانكارا شاريا

مقاطع من فيفكاشودا موئي

القسم الثاني

العقيدة البوذية

وأثرهـــا

في التصوف والفِرق الاسلامية

الفصل الاول

مؤسس البوذية

١ — معنى بوذا

بوذا كلمة هندية تعني الحكيم او المستنير او المبارك ، ويظهر ان الفيدا وهي كتب البراهمة « المقدسة » ، تبشر بحكيم يجدد ما طمسه الزمن من معالم الدين البرهمي ، وينقي ما علق به بتوالي الأجيال ، إذ نرى سواد البراهمة لاسيما الكهنة الراسخين في دراسة الفيدا ، يتوقعون مجيء حكيم (١) فادياً مخلّصاً مهدياً

وقد أشار بوذا في آخر حياته ، الى انه ليس اول البوذات ولا آخرهم (٢) ولذا نرى البوذيين حتى الآن يتوقعون رؤية حكيم من انفسهم .

كان معاصرو بوذا على استعداد لقبوله ، إذ عرفوه من خـــلال تعاليمه الروحية التي تدخل القلوب دون استئذان ، ومن زهده في الدنيا واصراره على كلمة الحق ، ولو كانت لاترضي الملوك والأمراء .

عرفوه من السيرة المستقيمة ، التي رافقته طوال اعوام دعوته ، وشاهدوا من النور الذي اشرق على وجهه حقيقة ما بشرت به أسفار الفيدا .

٢ — عصره

بعد قرون من تأسيس البرهمية نخالها خمسة عشر قرناً ، وفي القرن الخامس قبل ميلاد المسيح ، ولد بوذا رجل الخير والمحبة .

وقد سبق لنا ان تحدثنا في القسم الاول عن مراحل حياته المختلفة ، منذ ولاته حتى عام ٢٩ من عمره ، واتينا على ما احاط بتربيته الاولى من حوادث واخبار .

---

١ — انجيل بوذا ص ٢٦٥

٢ — المصدر المذكور ص ٧٧

عاش ٢٩ عاماً كولي عهد لابيه ثم طرأ عليه ما بدل مجرى حياته وتفكيره فأخذ يفتش على الوسائل التي تدفع اخطـار الأمراض والشيخوخة والبؤس وتحطم سلسلة التناسخ الرهيبة .

وما هي الا ستة اعوام ، سلخهـــا منقطعاً للتأمل والمراقبة والملاحظة والتفكير في العلل الـتي اثمرت الشر والكوارث ، حتى أصبح بوذا حكيما يكتشف سر النجاة ، ويهتدي بطريق السعادة ، ويهبط مدينة « بنارس » منادياً اليّ اليّ ايها (المتعبون) .

٣ــ وحدة الاديان : نبوة بوذا

لا ندري كثيراً عن حال الأنسان العقائدية قبل اربعين قرناً ، إذ لم يحفظ لنا التاريخ الا شذرات طمستها الأرض في ما طمست ، ثم شرعنا نعرف بعضها منذ منتصف القرن الماضي ، عن طريق الحفريات الـــتي امدتنا به الآثار المكتشفة في مصر والهند والعراق حول ادونيس و(كريستا) و(بل) .

نعم لاندري ولكننا نتحقق ان الأنسان الأول كان يتمتع بايمان سليم إذ خلقه الله سليما في معتقداته لان الصحة اصل والمرض طارىء و (ما جاء على اصله لا يسأل عنه) .

لقد ذهب البحاثون حول عقائد الانسان البدائي مذاهب شتى ، فتعددت الأقوال وتشعبت الآراء ، ولكن المنطق ويؤيده العلم ، يرينا الانسانية في صدرها الأول سليمة في عقائدها .

ثم انقضت القرون والحقب فرأينا منذ اربعين قرناً اباً روحياً للانسانية يجدد لها ما طمسه الدهر من عقائد ويرد غوائل الأساطـــير ويعيد الفكر العقائدي للأصل السليم .

ذاك الأب العالمي الكبير هو ابراهيم ...

ان من العقوق للفكر بل والاخوة الأنسانية ، ان يعيش سواد الناس في

دائرة ضيقة ، يرون كل مـــن لم يشاركهم الاقامة في تلك الدائرة هالكاً كأنهم ذاك الصابئي الذي خنق نفسه بدخان تلك الدائرة وعاش بخيمة التقليد الصفيقة مردداً كلمة (احب ان اكون مع آبائي) .

* * *

وبوذا من اعلام التاريخ العالمي اصلاحاً روحياً واجتماعياً ، إذ اصلح او حاول اصلاح ما انغمس به البراهمة ، من تقـاليد خالوها ديناً ووضع الأسس التي اقام عليهـــا محاولوا الأصلاح بعده ما أقاموا واثر في الفكر العالمي لاسيما الروحي ولا يزال اتباعه مئات الملايين .

ولئن شك بعضهم في وجوده ، وخالوه فكرة هندية لبست بالاستمرار ثوب حقيقة واقع .

فان الثابت أن بوذا شخص ولد ودعا لعقيدة ، ثم مات حسب المراحل المتفق عليها والتي ذكرناها في القسم الأول .

ولذا على الذين خنقوا انفسهم بدخان الدائرة الضيقة ، وحجبت الخيمة عنهم اشعة شمس الحقيقة ، ان يحرروا انفسهم ويتمردوا عـــلى قيود الموروثات التقليدية ، ويتذكروا ان الكتب التي بين ايديهم تدفعهم لهذا التحرر ويروا في القرآن « وبشر عبادِ ، الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه » . وفي الأنجيل « امتحنوا كل شيء » ويتـــذكروا ان (الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها التقطها) .

٣ – بوذا والوحي

الهنود ، قبل بوذا ، يرون الوحي للاطهار ممكناً ، واليونان يرون سقراط يستمع هاتفاً ، يلازمه ويوحي له وينفخ في روعه ، ويقذف في نفسه الرشد ويلهمه الصواب (١) .

---

١ – هذا ما ذكره هيرودتس في تاريخه مجلد ٢ ص ٥٨٦ – ٥٩١ بيروت مطبعة القديس جورجيوس عام ١٨٨٦-١٨٨٧

والنجيل بوذا يصوره متعرضاً لاشعة الوحي وكثيرون من البحاثين يرون بوذا (حين تكلم ما تكلم كانت روح ابراهيم متقمصة به (١) أي يرون بوذا مجدداً لما طمسه الدهر من وحي ابراهيم داخلاً في دائرة الرسل الذين لم يقصهم القرآن

هؤلاء البحاثون يرون كتب الاديان ليست سجلاً تاريخياً متسلسلاً يعني بتدوين الحوادث بل تقتصر على الكليات والخطوط العريضة تاركة للمتبتلين للدراسة حق الاستقراء والاستنتاج كما اسدل الأنجيل مثلاً ستاراً على ثمانية عشر عاماً من عمر السيد المسيح تاركاً لهم حق الأستقراء والاستنتاج .

هؤلاء يرون ابراهيم من نافذة الكتب الثلاثة أمة إذ يرون في القرآن « إني جاعلك للناس اماماً » . وفي سفر التكوين ١٢ـ٢ « تتبارك فيك جميع قبائل الارض» ، وفي سفر غلاطية ٣ـ١٤ «لتصير بركة للأمم (٢) بل يرون حكماء الصين امثال «يو» (٣) ولاوتسو وكونفوشيوس وحكماء الهند امثال بوذا وحكماء فارس امثال زراوشت يرددون صوت ابراهيم ويجـــددون ما اعترى وحيه وتعاليمه ويرون الجميل الجميل من تشريع حمورابي مستقى من تعاليم ابراهيم وينسبون البرهمية او البراهمة لابراهيم نفسه اذ لم يكن هذا الاسم موجوداً بالهند قبل القرن الذي عاش به ابراهيم ولا يفسرون احترام الهنود وفارس للكعبة ، إلا لاعتقادهم بقداسة يد ابراهيم التي اقامتها

* * *

من هذه النوافذ ـ نوافذ الكتب والتاريخ وآثار وواقع الأمم ـ يرى هؤلاء

---

١ ـ راجع فصل (اديان واشجان) من ملوك العرب للريحاني .
٢ ـ راجع صفوة الاعتبار لمحمد بيرم التونسي وراجع تشريع حمورابي
٣ ـ راجع دائرة معارف البستاني مادة برهمة وسفر الخروج أو اديان العالم الكبرى لخصه عن الانكليزية ـ حبيب سعـــد أو شرح ديوان حسان للبرقوقي وسيرة نور اليقين للخضري

العلماء ابراهيم مجدداً بوحيه ماهدمته الازمنة من معالم وحي ادريس ونوح ملتقياً مع قدماء حكماء الهند امثال (كريستا) بالنقاط الجوهرية الثلاث :

١ — معرفة الله .

٢ — خلود الروح .

٣ — محبة الانسانية .

هذه النقاط الثلاث نقطة البيكار التي التقى بها الرسل والانبياء والحكماء الآلهيون وان تغايرت ازمانهم وتباينت ديارهم ولغاتهم .

هذه النقاط الثلاث متوفرة في تركة بوذا وسواه من الحكماء كزرادشت (١) وكنفوشيوس (٢) ولا عجب ان يلتقي الرسل والحكماء الالهيون اذ الحقيقة لاتتغير وان تعددت الأساليب وطرق الأداء ، فوزارة المعارف مثلاً ترسم خطة انهاض الشعب من كبوة الجهل وان اختلف منهاجها باختلاف الصفوف وللاديان دعامة اولى جوهرية خالدة وان تعددت الديار واللغات .

وقد اخبرنا القرآن ان الناس كانوا في طفولة تكوينهم يستظلون براية عقيدة واحدة ، ولكن اصاب افكارهم مايصيب الجسم السليم اذا اهمل العناية الصحية .

ومن هنا ادرك البحاثون وحدة الاديان العالمية الكبرى ورأوا لجميع ما يعاصرنا من الاديان والفرق اصلا سماوياً (٣) .

٣ — تلاميذ بوذا

لبوذا تلاميذ مخلصون أوفياء مضحون حريصون على تبليغ الأمانة التي

---

(١) انتشرت الزرادشتية بفارس والعراق واطراف جزيرة العرب الشرقية وسورية الشمالية
راجع حولها : أ ـ تفسير الجواهر لسورة الانبياء
ب ـ نهاية الأرب للنويري ٧-٢٧٧

(٢) حول كونفوشيوس راجع (كونفوشيوس) لمحمد مكين الصيني

(٣) راجع كتاب « الدين والاسلام » لكاشف الغطاء ج ٢٤ ص ٣٦ و٧٣ وتفسير المنار للاستاذ الامام والسيد رشيد رضا ج ٤ ص ٤٢٩ و ج ٥ ص ٢٠ و ٢٥ وج ٦ ص ١٨٦ من الطبعة الأولى

تطوعوا لحملها ، وما كاد ينتدبهم لتبليغها حتى انبثوا في اطراف الهند النائية وتجاوزوها للصين وفارس ثم لبلاد العرب .

وبوذا أول حكيم اخرج تعاليمه من دور التبشير المحلي للعالمي اذ جاب تلاميذه واتباعه أطراف العالم المتحضر المعروف حينذاك يبلغون الناس الجوهرة البوذية المثلثة : بوذا والقانون والاجتماع .

لقد شق بوذا الجدار الصفيق الذي ضربه معاصروه من البراهمة واليهود الذين رأوا سواهم غير جديرين بالتمتع باشعة التعاليم الحيّة إذ منحها الله قوماً دون آخرين !! لقد أمر بارسال اشعة تبشيره لمطلق مكان فرأينا مبشريه يجتازون حدود الهند والصين ويهبطون فارس وديار العرب (١)

---

(١) راجع كتاب «العقائد» لعمر عنايت ـ بحث بوذا .

الفصل الثاني

الدين البوذي

١ — كتب بوذا المقدسة

الفيدا كالعهد القديم والانجيل بوذا كالعهد الجديد ، أما كتابا « الاوبانيشاد » و« طريق الروح » (١) فكالرسائل المضافة للعهد الجديد .

ونحن لسنا بصدد تحقيق ربط سلسلة ما نراه من الكتب في الزمن الذي تعزى له اذكبا في هذا الميدان سباقون .

فكتاب « افستا » مثلاً المنسوب لزرادشت نفسه اضطرب بتحقيقه البحاثون ، كما اضطربوا بزرادشت نفسه فرآه الشهرستاني موحداً ورأته دائرة المعارف البريطانية ثنوياً .

والفيدا اعادها قوم لستين قرناً وآخرون لخمسة عشر قرناً وفي كلاّ القولين مبالغة إلا أنها سبقت عهد بوذا دون ريب بزمن بعيد .

٢ — خلود الروح

رأى بوذا قبل سقراط ، الموت مقدمة للحياة فأعلن خلود الروح . وجاء في انجيله ص ١٦٨ و١٧٢ : « الأحياء يتبدلون والحقيقة باقية خالدة بقاء الأبد والأفكار تضمحل وأما المعرفة فتبقى » .

والحقيقة الباقية هي الروح اذ مازالت تتعاقب على الاجسام حتى نالت نعمة تكفير الذنوب وفازت براحة الخلود بين الأحباب بدار النعيم الأبدي

لقد سلك بوذا الجادة الوسطى فلم ير الروح عائدة لنفس الجسم الذي فارقته كما كان يرى قدماء المصريين ولم يرها تموت بموت الجسم كما يرى الصدوقيون وشهود يهوه (٢) .

---

(١) قصة الأدب في العالم لأحمد امين ص ٤٥

(٢) راجع دائرة معارف البستاني ١٠-٧٠٠ وما يعلقه شهود يهوه على فقرات : ٣-٥ من سفر الجامعة و٨-٤ من سفر الخروج و٢-١٤ من سفر الرؤية

٣ ـ القضاء والقدر

كان البرهمي في عصر بوذا يرى نفسه ريشة معلقـة في الهواء ويلقي اثقاله على عاتق القضاء والقدر ولكن بوذا حررهم ـ او وهب الكليات التي تكفل تحريرهم ـ من هذا الوهم قائلاً :

(رجل الشهوات عبد لشهواته (١) (اعمالنا هي التي تنتج الخير والشر (٢) وصرح في مواقف عديدة بأن الانسان يملك زمام نفسه ، ويستطيع العروج بها الى اوج الكمال ليمنحهـا مركزاً مرموقاً أو الانخفاض ليهوى ويصبح ليس شيطاناً فحسب بل معلماً للشيطان يذكرنا بقول الشاعر :

وكنت امرءاً من جند ابليس فارتقى
بي الأمر حتى صار ابليس من جندي

وهكذا حرر بوذا سامعيه من اوهـام التواكل ودفعهم للعمل الحيوي الجدي الواقعي وافهمهم ان الانسان نفسه مصدر اعماله وحذّرهم من طرح التبعات على عاتق القدر والصدف كما كان يفعل معاصروه من البراهمة

٤ ـ الأمل والرجاء في البوذية

جاء في الرؤيا الثامنة من الرمايانا « حذار ان تطفى في نفسك شعلة الأمل ، فالخالق لا يسقط شيئاً حتى ينهضه » .

هذه من القواعد الفردية والاجتماعية التي نشر بوذا اريجها على جميع الناس .

لقد شاهد الحياة بعين حكمته مشحونة بالآلام والكوارث ورأى ما نناله بها من راحة لا يعدو رفع الألم ، فخفف من اوزار النفس وافسح لها مستقبل الأمل لتستطيع اجتياز صراط الحياة بسهولة وامان وأعلن ان الأمل رحمة للافراد في معاشهم ورصيد للشعوب التي كبت في ميدان الحياة ، يجدد نشاطها ويطلق السنتها ويخلع عليها ثوب ولادة جديدة .

(١ و٢) ص ٨٥ من انجيل بوذا

لقد حاول ملوك واقطاعيون وتجار روح ان يحولوا دون شعاع بوذا ولكن الأمل الكبير الذي يفعم قلب المعـــلم الكبير ، تغلب على العقبات وذلل المصاعب .

لقد اشاد بوذا على زاوية الأمل برج مجد مستقبل البوذية الروحي والزمني وعلّم الناس كيف يضعون في باب الأمل ثقيل احمالهم ويجدون به بلسم آلامهم .

٥ ــ لا طقوس في البوذية

مهمة بوذا تربية الضمير وتنقيـة المجتمع من الشوائب من الشر وجرثوم الفساد الذي دعاه (راما) او الشيطان ولم يعن به إلا القضاء على (الأنا) مرض الانانية الكامن في النفوس متحفزاً محاولاً الانقضاض .

هذا الأنا عدو الانسانية الداخلي وخصمها الجبار الذي يستلزم الاجهاز عليه معركة عنيفة يعلنها الشخص على اهوائه ورغباته المنحطة .

لقد حدد المعلم الكبير الوسائل الناجعة المؤدية الى قتل (الأنا) واعلن انه يخنس ولا يغفل ! ورأى النصر على هـــذا العدو العنيد الخطر طريقاً يفضي للجنة التي يبحث عنها المؤمن كثيراً ولكن لايجدها إلا في النصر على الشهوات والميول والاهواء والسيطرة عـــلى النفس سعياً وراء حالة نفسية متزنة ليفوز الانسان بالوسط وهو العقد الذهبي .

* * *

انتدب المعلم الكبير المؤمنين لهذه المعركة ورأى جائزة المنتصر سعـــادة مزدوجة حسية ــ روحية .

هذا هو ركن الدين البوذي الأول والاخير ، أما الابتهال لمطلق قوة (١) والنذور والاضاحي والترانيم والمحرقات فقد خلي منها توجيه المعلم .

---

(١) انجيل بوذا ص ٣٩

الفصل الثالث

التشريع البوذي

١ ـ اصلاح الأسرة

جاء في الرؤيا الثامنة :

١ ـ «لا تنسل إلا من امرأة واحدة فالرجل والمرأة واحد في نظر الله » .

٢ « لا تقترن ببنات أمك مخافة ان تنقص عدد اخوتك ولا ترجع ذلك الدم الى منبعه مخافة ان لا تنمو وتتكاثر » .

* * *

التعـدد والطلاق المجردان من القيود والشروط صفتان مألوفتان شائعتان لدى جميع معاصري بوذا لاسيما اليهود اذ نرى لسليمان تسعماية امرأة ولداود الفا ، وكان تشديد بوذا رد فعل لما انغمست به تلك الامم .

لقد ادرك بوذا ان الزواج مـــن الأصول والفروع سبب من اسباب انقراض الأسر فاشار ـ وقد سبق جميع الناس بهذه الاشارة ـ لهـذا الخطر وحذر منه بهذه الكناية اللطيفة الثمينة .

ليت سواد النـــاس اليوم ـ لاسيما بقية المجوس ـ يدركون ما ادركه بوذا قبل خمسة وعشرين قرناً .

٢ ـ الوصايا المقدسة

« لاتقتل ، لا تسرق ، لا تزنِ ، لا تكذب ، لا تشرب خمراً »

هذا ما اتفق عليه بحاثو تركة بوذا ، أما بقية الوصايا فيراها بوذا أقل شأناً من هذه الخمسة اذ يضم في بعض المواقف لهذه الخمسة خمسة أخرى هي :

« لاتشِ ، لاتحلف ، لأتبدد الوقت بالهذر ، لاتحسد ، لاتشهد زوراً » .

ويدعو هاتين الخمستين شروراً عشرة

أما الحقائق المستقيمة والصفات الستة والخمسة الثالثة ، فليست بالانجيل وان اتفق بعضها معه كالصفة الثالثة اذ تكاد تكون محوراً لكل مافيه .

والحقائق هي :

١ ـ الايمان بالقلب والمحافظة على الأسس الروحية .

٢ ــ النظر الذي يبدد الأوهام والشكوك .
٣ ــ السعي لغايات نبيلة .
٤ ــ طلب العيش من طريق شريف .
٥ ــ حفظ اعمال الناس الجيدة وتناسي اخطائهم .
٦ ــ مزج الحياة بالحياد والعفة .

وهـــذه الحقائق كالفاتحة بالنسبة للمسلمين و(ابانا الذي في السموات) بالنسبة للمسيحيين إذ لايكاد يجهلها بوذي واحد ! والصفات الستة :
الصدق ، طهارة النفس ، العلم اللامحدود ، القوة ، الصبر ، محبة الجميع .

٣ ــ اللاتناقض في التشريع البوذي

لقد ملكت الانسانية والمثالية نفس المعـــلم النبيل ، فود لو صعد الناس معه سلّم المثاليه ليتخذوا من ضميرهم حاكماً ومن وجدانهم جندياً ليستغنوا عن القضاة والقوى المسلحة .

ولكن حزّ في نفسه واقض مضجعه رؤية قومٍ مهزومين امام شيطان الانانية وعفريت الذات وصـــنم (الأنا) الجاري في الانسان مجرى الدم ، فأباح اقامة قضاة وجلادين لهؤلاء المهزومين فحسب .

وجه بوذا سامعيه لتهذيب نفوسهم لينقلوا الامانة للاجيال لتشعر بالقاضي والجلاد في ضميرها وتتحقق ان الاعتداء (الفردي) لا يزول إلا بالحب والتساهل وتضحية الأنانية على مذبح المصلحة العـــامة ، اذ الحب للجميع قطب دائرة التشريع البوذي وسواد عين وصايا المعلم .

فاذا ما رأينا بوذا ينهي عن اقامة قضاة ثم يعود فيبيح فـــلا ينبغي ان نرى تناقضاً اذ حكماء العالم القديم في الشرق ــ ولا حكماء حينذاك إلا به ــ عودونا التوجيه العاطفي والاسلوب الرمزي العاطفي الذي يمس القلوب .

فبوذا مثلاً حين امر بالرفق بالحيوان نهى عن قتل الحشرة ، والمسيح حين نهى عن الزنا والقتل جعل جزاء النظر للمحرم فقىء العين وجزاء الغضب

القتل وهما « بوذا والمسيح » لا يقصدان الوقوف عند حدود الحرف اذ هو كما قال (القديس بولس) يقتل !

وشرّاح انجيل بوذا حين شاهدوه يتناول من المرأة الفقيرة شطر التفاحة بيده اليمنى (١) ويبارك الايدي المحسنة ويرى في اقامة المشافي وتعبيد الطرق وسيلة تدفع لسعادة الحياة وسلماً يفضي لجنة الجسد والروح ، ضربوا على وتيرته فقالوا :

١ — (دعوا خبزكم على عتبة كهوفكم للجائعين واتركوا بعض ثمار على غصونها لعابري الطرق (٢) .

٢ — (اقسم الأرض بينك وبين اخيك فالله لم يتقاض منك مثالها) .

وهؤلاء الشراح لا يريدون الا جوهر التعاون المطلق الكامن بهذين النصين المثاليين الجميلين .

* * *

اذن فشريعة بوذا تأمل واعتبار وتربية ضمير وصولة على شيطان الانانية وابليس الذات بسلاح الوجدان والاحاسيس النبيلة الخيرة .

٤ — نظام اللاطبقية في التشريع البوذي

في انجيل بوذا ص ٢١٩

« ليس المنبوذ منبوذاً بالولادة وليس البرهمي برهمياً بالولادة بل بالأعمال »

هذه الثورة المباركة من بوذا رد على البراهمة الذين يرون العالم ثلاث طبقات :

١ — طبقة البراهمة (رجال الدين المخلوقين من عين برهمة) .

٢ — طبقة الملوك والحكام والموظفين والتجار والأعيان والمثريين ... المخلوقين من ثدي برهمة .

٣ — طبقة المنبوذين النجسين (السودرا) المخلوقين من اعضاء برهمة السفلى

---

(١) راجع القصة كاملة في القسم الاول

(٢) يلاحظ ان المعنى موجود في العهد القديم لكن بوذا ينظر عابر الطرق بعين عالمية والعهد القديم يراه بعين قبلية اسرائيلية .

وتصنيف الطبقات هـــذا نظام برهمي يرتدي قبل بوذا رداء دين لايستطيع احد التمرد عليه .

جاء بوذا فراعه هذا النظام المجحف فنادى بالقضاء عليـــه مستهزءاً بما يلاقيه من الطبقة الأولى والثانية من معارضة وتآمر .

لنتصور مفاجأة الناس ـ جميع الناس (براهمة وسواهم ـ حينذاك بهدم النظام الطبقي او تحرير العبيد أو ما ندعوه الآن بالتمييز العنصري .

لنرى من خلال تصورنا عظمة بوذا ونشاهده وردة بين اشواك .

ولم يكن مرض نظام الطبقات هذا يعتري البراهمة وحدهم بل كان عالمياً .

فاليابان مثلاً كانوا ولعهد قريب ، يرون ملوكهم من سلالة الآلهة المتجسدة بالشمس ، ومصر لم تكن تكتفي بتأليه الملوك في هذا العالم بل كانت ترى جنتهم في سفينة الشمس وجنة سواهم في الأرض وفارس تقسّم الشعب الى : ملوك ، كهنوت (موابذن) مرازبة ، أما سوى هـــذه الطبقات الثلاث من الفلاحين وصغار الباعة وذوي المهن فلا يساوون عند الله نقيراً .

واليونان يقولون بلسان كبار فلاسفتهم (ارسطو) سيدوم نظـــام الطبقات (العبودية) مازال المغزل بحاجة الى من يحركه .

واليهود ـ علاوة على نظام الرق الذي يفتح العهد القديم صدره له ويرحب به ويقيم تشريعاً يميز الرقيق العبراني عن سواه ـ يباركون نظام الطبقات ويرون لبني لاوي ميزات لا يزال يشهد بها سفر اللاويين .

لقد جاء بوذا حول نظام الطبقات بجديد وغريب بل ومستهجن ولكنه نثر اقواله دون ان يدعمها بما يكفل تنفيذها ، ولم نجد من ملوك البوذية من صمم على تنفيذها تنفيذاً عملياً ولذا استمر نظام الطبقات لدى الـــبراهمة بل والبوذيين حتى تأسيس المذهب السيخي اذ اعلن مؤسسه (الغورونانك) وجوب الغائه .

ثم استمر نظـــام الطبقات وعاش ابناء السودرا (المنبوذين) محرومين من الدراسة حتى استأنف غاندي حملة بوذا ونانك فاصدر مجلس ادارة بومباي

عام ١٩٢٦ قراراً يخول ابناء المنبوذين حق دخول المدارس (١)

وكأن روح المعلم الكبير صفقت في عالم الخلود بكلمتها الخالدة :

« أنا بوذا الذي بكيت لبكاء اخوتي وانسحق قلبي لأجلهم اصبحت اليوم ضاحكا لان الحرية موجودة (٢) »

٥ ــ عطف بوذا على الحيوان

قال في انجيله : «كونوا وُدعاء مع البهائم فالله الذي خلقها يجب ان نحسن اليها ... ولم يحرمها من بعض ما وهبنا » .

* * *

بوذا سباق مجـــلي في ميدان الفكر والرحمة ولو سمعه الذين يفخرون بتأسيس جمعيات الرفق بالحيوان لرأوه المؤسس الأول .

٦ ــ تشجيع بوذا للزراعة والغرس

« لا تنزع الغصن من الثمرة فطوبى لليد التي تزرع ، وعار على التي تسيء »

« لا تترك الأرض عارية قاحلة فآباؤك رأوها خصبة عند مجيئهم » .

هذا ما يوضح دعوته للاهتمام بالارض والاعتناء بالأشجار والغابات لمنفعتها العميمة للانسان وخاصة في الهند حيث تتكرر المجاعات مما جعل بعض العلماء الاقتصاديين يفسرون دعوات الزهد والتقشف التي كـــثرت في بلاد الغانج بالحاجة الاقتصادية والموارد الحياتية القليلة ...

٧ ــ الحث على العلم

قد يمر على الانسان (برأي بوذا) ملايين من الاعوام حانياً عنقه لسيف التناسخ مجبوراً عـــلى العودة للجسد الترابي والمظهر المادي مرتدياً اثواب مخلوقات متباينة .

---

(١) « غاندي ابو الهند » لقدري قلعجي طبع دار العلم للملايين عام ١٩٤٨ ص١٧

(٢) تفسير الجواهر لسورة آل عمران

ولكن بوذا يرى وسيلة واحدة تدفع عن الانسان خطر التناسخ وتمكنه من الولادة بجسم نوراني لاتشوبه اشباح هذه الارض القاتمة ينظر هـــذا العالم نظراً مجرداً من الاهواء ، تلك الوسيلة هي العلم غير المحدود الذي يشمل معرفة القوانين الروحية والطبيعية .

وبالفعل فان هذا تبشير اصيل ويتيم لم يقله أحد قبل المعلم .

٧ ـ الحكمة والتسامح في الدعوة البوذية

هبط بوذا مدينة (بنارس) فاطفأ النار المعبودة وقتل الحية المقدسة لكن ليس بالماء والحديد بل بالحكمة والعقل والدراية والتوجيه الحسن والتقويم السليم

والحقيقة ان البوذية هي العقيدة الوحيدة التي قلّ ما نجد حدوث حروب ومعارك بين فئاتها . بل ان التسامح والمحبة ركنا البوذية وأساسها وهـــذا ما اتصفت به وما تزال ..

٨ ـ مبدأ عدم الانقطاع عن الطيبات في البوذية

دخل بوذا مدينة (بنارس) فاستقبلته الوف العباد والزهاد الذين سلخوا عشرات الأعوام من حياتهم يصولون على الجسد تطهيراً للروح .

استقبلوه ليناقشوا ويجادلوا ولكن بهرتهم حكمته واسكتهم منطقه وسلب البابهم توجيهه ومنحهم الدواء العقلي مركباً من هذا النص :

١ ـ « والعناية بالجسد واجب وإلا فلا نقدر ان نظفر بالحكمة ونحفظ عقلنا قوياً صافياً (١) » .

٢ ـ « ان من ينقطع الى الغابات متنسكا مبتعداً عن العالم فانقطاعه باطل (٢) »

وهكذا عاد اولئك الرهبان الى رشدهم وعلموا ان الانقطاع عن تناول مايقوّم العقل والجسم باطل إن لم يتحرروا من داء الأنانية وادركوا ان

(١) انجيل بوذا ص ٥٩ (٢) انجيل بوذا ص ٦٥

النسك والانقطاع عن ميدان الحياة فرار من معركة فرضتها الحياة .

١٠ — لاوهبانية في البوذية

بوذا يرى السلامة وسطاً مستقيما وجادّة معبدة بين هاويتين خطرتين (١) ويود لو ضم الشخص لحواسه الخمسة عقلاً لتدعى بمعرفته وتوجيهه واستشارته حواسّاً ستة وطرق المعرفة الستة (٢) .

لقد ناهض التعدد والطلاق وحرمان المرأة من العلم والدين وبارك زواج الواحدة ـ حتى زواج رجال الدين ـ ونثر تعاليمه على النساء والرجال وطيب العقل البرهمي الذي يرى الرهبانية ديناً له .

---

١ ـ انجيل بوذا ص ٥٨

٢ ـ انجيل بوذا ص ٣٥ و٤٧

الفصل الرابع

الطوارئ الوئية

في البوذية

١ = تمهيـــد

قال غوستاف لوبون : « اذ اعتنقت أمة ديناً جديداً حاولت ان تجعل الجديد نفس القديم فلم تبق من القديم إلا الاسم والصورة » .

* * *

معلوم ان أمماً كثيرة كالبراهمة والشنتو وسواهما من الأمم التي انغمست في الوثنية بعد عهود مؤسسيها ومجـددها ، قد انضوت تحت راية بوذا في الهند والصين وجزر الملايو واليابان وفارس وبلاد العرب .

وهذه الامم منها من يعبد الله حالاً او متجسداً او مثلث الاقانيم .

لقد احتفظت هـــذه الأمم برواسب شتى من عقائدها القديمة وحشرتها بسيف التأويل في البوذية فرأينا من البوذيين من يعود للثالوث البرهمي الشهير (برهمة وسيفا وفشنو) ويضم له اقنوماً رابعاً هو « بوذا » ومن يضم لثنويته بوذا ويراها ثلاثة مقصودة من كلمة بوذا (بوذا والقانون والاجتماع) ومن يحافظ على اصنامه الموروثة نفسها زاعماً ان بوذا تجسدها وروحه حلت بها ويطوف حول اصنام محلاة بالذهب والاحجار الكريمة ومن يقيم قبراً موهوماً زاعماً انه قبر بوذا ويعكف على عبادته .

٢ — قبور بوذا المعبودة

اتفقت الروايات ومنها انجيل بوذا نفسه على وفاة بوذا وفاة طبيعية واتفقت على حرق جثمانه .

ولكن صانعي الخرافات ابوا إلا التحدث بان بوذا شاهد نمرة جائعة فوهبها جسمه رحمة باولادها وخالوا جوهرته المثلثة لا تعني الا احترام الرماد الذي ابقته النار من جثمانه .

لذا جمعوا ذاك الرماد وأقاموا عليه سبعة قبور ثم اخـــذ بعض الملوك ذاك الرماد واقام عليه ثمانية وستين قبراً ... ثم بوركت القبور واصبحت تملأ الديار البوذية .

(لقد كان وعظه مفهوماً بلغـــات ولهجات كثيرة وفهمه جميع سامعيه دون ترجمة) !!

٦ ــ اقتلوا الأنا قبل نقش التعاليم

تناسى كثيرون من الملوك والأمراء قتل شيطان (الأنا) الكامن في نفوسهم واكتفوا بحفر تعاليم واصلاح بوذا على اعمدة اعترافاً بالفضل وتخليداً لبوذا فتعددت الأحجار ولا يزال بعضها محفوظاً لاسيما في مدينة الله أباد .

٧ ــ الخمسة الثالثة

ولم يكتف محبو الاساطـير من الشراح بتحريف الكلمات والتآويل التي يبرأ منهـــا بوذا بل منحوا انفسهم ثوب بوذا نفسه وجاؤا بخمسة وصايا ونسبوها له وهي :

١ ــ لا تأكل على شبع ، لا تنظر المشاهد المغرية ، لا تلمس الذهب ، لا تتطيب ، لا تنم على سرير واسع .

وهذه الخمسة دون ريب ، من الزيادات التي طرأت بعد بوذا ، اذ هو نفسه أكل من الطيبات وارتدى ثوباً موشى بالذهب وتطيب ونام على سرير واسع وسمح لتلاميذه بارتداء الحلل المزركشة بالذهب .

أما قول بعضهم : هذه الخمسة ارادها بوذا مقتصرة على رجال الدين فهذا نفسه مردود إذ اقام داراً للتلاميذ تدفع عنهم شر الفقر والتسول والعرى وبارك مؤمنة تبرعت باشادة تلك الدار .

نعم ان القوانين بسيطة سهلة بالنسبة للعامة صارمة بالنسبة لرجال الدين إذ (جريمة الكبير كبيرة) و (إذا فسد الملح بماذا يملح) كما قال السيد المسيح ، ولكن هذا لا يدفعنا لأن نكلف رجال الدين مالم يكلفهم بوذا نفسه .

٨ ــ عقيدة عدم التثليث والتثنية في البوذية

كثيراً ما يطلق انجيل بوذا على علة العلل اسم (دهارما) ويصفه بسيد الخير ويطلق على أصل الشر اسم (راما) ويقصد به في الظاهر ما نقصده من الفاظ

٣ ـ لا معابد ولا هياكل بعهد بوذا

تعاليم بوذا اشعة تنقي النفوس من الأنانية وحب الذات ولكن الشعوب التي شكلت البوذيين ادخلت من نافذة التأويل البعيدة وجوب اقامة هياكل ومعابد ثم نقلت لها ما تعرفه من اديانهـــا القديمة من الطقوس والأديرة والنواقيس والأسرار والتجسد والاعتراف وحفلات الرقص الديني فرحاً وهياماً وتقليداً للكواكب السيارة السابحة حول أمها الشمس ، بل اصبح الدالاي لاما نفسه يطوف باوثان تكاد تضيق بها مدينة اللامات المقدسة : لهاسا ، ثم اصبحت بناية البوتلا احدى عجائب الدنيا تحتفظ باجساد اللامات المحنطة .

٤ ـ عظمه قلم ودمه حبر

لم يقف صانعو المبالغة وابطال الغلو عند حدود الإيمان بان المعلم كان حريصاً على كتابة ما ينفع لجماعته بل تجاوزوها وابوا إلا القول :

قطع من جلده رقاً وبتر من عظمه قلماً واتخـذ من دمه مداداً ليكتب جملة حرص على تدوينها وهو بغابة لا ورق بها ولا قلم ولا مداد ...

٥ ـ وعظه مفهوم بلغات كثيرة

هبط بوذا مدينة بنارس فاستهل خطبته الشهيرة بقوله : « سعيد سعيد هو الذي يرى الحقائق ، سعيد هـــو الذي يرى الجوهرة المثلثة : (بوذا والقانون والاجتماع) ...

وما أن أتم خطبته حتى تبوذ جمهور وفرّ آخرون قائلين (سنلجأ للجبال ونبحث عن مثوى بين الارواح الضخمة وهناك نشيد صوامع لاتزورها حكمتك)

ولكن بوذا اجابهم بلهجة الحنان والوداعة قائلاً :

« الأمان موجود في صحبتي وجوار قانوني وديني » .

هـذا ما رآه الناس في انجيله ولكن الذين يعيشون في ظلمات الخوارق ويحرصون على التغني بها لم يعلقوا على هذه الخطبة الثمينة إلا قولهم :

شيطان ، ابليس : خصم غير منظور ، ويعني في الحقيقة مرض الأنانية لأن انجيل بوذا لايرى (دهارما وراما) آلهي خير وشر كالعقيدة التي يراها كثير من الامم القديمة وبقاياها من المعاصرين ، ولكن الشراح من الثنويين الذين شكلوا البوذية واصبحوا بتوالي الاجيال مفسرين ومراجـــع فسروا لفظتي (دهارما وراما) على ضوء موروثاتهم فرأوا الأول آلهاً للخير والثاني آلهاً للشر .

وقد انس كثيرون بهذا التفسير الذي صادف هوى في نفوس الامم الثنوية فأصبحوا يرون (راما) يساوي (راكيها) لدى البراهمة و(يزدان) لدى المجوس و(بيغو) لدى سكان سومطرة (١) (وتيات) لدى البابليين .

ويرون (دهارما) مساوياً إله الخير وهو لدى البراهمة ثلاثة اقانيم هي : (برهمة وسيفا وفشنو) ولدى المصريين ثلاثة اقانيم هي : (ايزيس وأوزيريس وهورس) ولدى الصوريين ـ سكان صور ـ ادونيس وعشتاروملكرت . . . وكما خلت البوذية من الثنوية والثالوث خلت من جميع انواع التعدد التي تراها الأمم كالخاموس والسابوع والتاسوع أما الرابوع الذي نراه لدى معاصرينا من البوذيين فليس من الأصل بل من الطوارىء اللاحقة .

لقد اخذت عقيدة الثنوية وقت كثير من الناس فحمل رايتها الزرادشتيون واحاطوها بكثير من القصص مثل :

اهرمن وهرمز ولدازروان (الزمن) وبينما كانا حملاً في رحم ابيهما نذر ان السيادة ستكون لمن يرى النور اولاً فاحتال « اهرمن » إله الشر بخبثه وخرج قبل هرمز الطيب الكريم (٢) فتألم ابوهما وعزّ عليه ان يبدل نذره ولذا جعل موعد سيادة اهرمن تسعة آلاف عام ، تعود بعدها السيادة لإله الخير .

إلها الخير والشر مذ فارقا اباهما (زروان) لايزالان بحرب عديمة الهدنة ولا يزال إله الخـــير مهزوماً وكثيراً ما وصفت الملاحم الفارسية ـ المجوسية هذه

---

١ ـ دائرة معارف البستاني ٥ ـ ٣١

٢ ـ انظر قصة بكورية عيسو ويعقوب في العهد القديم ولاحظ اختلاف اسماء آله الشر لدى الثنوية .

المعارك وزعمت ان الملك «كيومرت» قتل جندياً في صفوف آله الخير (١) ولا يزال «اليارمي» للآن يرون آله الشر رمزاً لفكرة الشر ويتخيلون ان الخير ليس قابلاً للوجود مجرداً من الشر إذ هما ضدان يستلزم وجود احدهما وجود الآخر ، ولا يزال آله الشر يعيش بيننا ولو اتخذ لدى معاصرينا من اليزيدية اسم « يزيد » (٢)

وهكذا اخذ «راما» اثواباً جديدة واوّله الشراح بما لم يقصده بوذا

* * *

٩ ـ كلمة اخيرة

وصفوة القول ، ان الأمم التي دخلت حظيرة بوذا بازمنة وامكنة مختلفة الصقت به ماعكر نهر احلامه ، وقد أوجزنا بعضها بهـذه الفقرات على سبيل النموذج لا الحصر :

١ ـ ولد بوذا ضاحكا واراد الملك قتله لكن يبست يده والقاه في النار فلم يحترق ثم القاه في طريق البقر فأدفأته بقرة بأنفاسها .

٢ ـ رأت أمه حين الحمل به فيلاً ابيض يدخل رحمها

٣ ـ سمعته أمه حين الوضع يقول : أنا سيد هذا العالم .

٤ ـ حملته خالته للمعبد فتهاوت امامه الاصنام .

٤ احال الماء خمراً .

٦ ـ اعطى ولديه لبرهمي وزوجته لبرهمي آخر

٧ ـ قال « ان كل ملك شيئاً حمل هما » ....

هذا وحسبنا ان يعرف القارىء مصدر هـذه الاساطير ويعيد كل فقرة لاصلها ويستل بوذا من بينها نقياً بريئاً .

---

(١) راجع اصول الثنوية . ، نهاية الأرب للنويري ٧ ـ ٢٧٧

(٢) مجلة الكتاب عدد مايو ١٩٤٦ الجزء الاول من السنة السابعة ، ومقال لجبور عبدالنور في مجلة الاديب كانون ثاني ١٩٤٧ الجزءالاول ، ونرى الفرقة المتطرفة المعروفة باليزيدية مريضة بالمجوسية الصابئية وان اختلفت الاسماء والاصطلاحات

الفصل الخامس

التأثير البوذي

في الفكر الصوفي

١ ــ معنى التاثير ومداه !

ان أمماً شتى اعتنقت البوذية وادخلت بها من عقائدها ما أدخلت فأصبحت البوذية بتوالي القرون مشتملة عـــلى جميع ما عرفته الأمم القديمة من عقائد ولا عجب فهذه سنة التاريخ (١) .

وقد عرف العرب المسلمون ديار البوذية في بخارى وسمرقند ... بعـــد فارس مباشرة وما هي إلا عشرات قليـلة من الاعوام حتى كادت تتوارى المجوسية الزرادشتية وبقيت البوذية تعايش العرب قروناً وقروناً ولا تزال تعايش المسلمين في اوسع ديارهم كالهند وجزر جاوه والملايو .

فقد اعتنق كثير من القبائل البوذية الاسلام منذ القرن الاول ثم تسلسل اعتناقهم وتكاثر ...

وكما ادخلت الأمم كثيراً من عقائدها في البوذية أدخل البوذيون كثيراً من فكرهم بالفكر العربي والاسلامي والافكار البوذية نفسها لاتزال تتغلغل وتحشد في المحيط العربي مستندة للتآويل البعيدة والتفـاسير المختلفة ، والعقائد التي تسربت الينا من التركة البوذية كثيرة ولا سيما في التصوف الاسلامي .

٥ ــ الاغراق بالتصوف ليس من الاسلام

منذ عهود سحيقة ، ولدى جميع الامم العريقة بالفكر والتدين كمصر والهند وفارس والصين قوم يعزفون عن مباهج الحياة ويحـاربون الجسد ويحسدونه ويرون القضاء عليه شرطاً لخلود الروح سعيدة او عودتها له ليستأنف الحياة بثوب جديد نقياً طاهراً .

اشترك بهذا العزوف افراد من جميع الامم وان اخـــذ على مدى التاريخ اسماء متعددة كعابد وناسك وربّاني وراهب وصوفي وزاهـــد وورع وولي وقديس وحبيس .

---

١ ــ دائرة المعارف للبستاني ج ١١

هذا العزوف دعوناه في العصرين المسيحي والاسلامي رهبنة او تصوّفاً ، وقد اكتفينا الآن ببحث نصيبنا نحن المسلمين منه .

٢ ــ التصوف في القرن الهجري الاول

الاعتدال والتوسّط وعدم تكليف مالا يطاق ، قواعـد بدهية في الشريعة الاسلامية ، وقد فسرها رسول الله ﷺ ، بسيرته الطاهرة تفسيراً عملياً .

والاعتدال يعني القدرة والعفة ، أي النظر لمتاع الدنيا وحطامها وشهواتها وزينتها بعين العفة ، ذلك لان الإسلام يرينا المسلم مبتغياً في ما آتاه الله الدار الآخرة ؛ ليجعل خدماته الاجتماعية كالحرب الدفاعية والعلم والتجارة والزراعة والصناعة وتربية الذرية تربية جيدة ، ليجعل هذا طريقاً يفضي الى رضى الله ونيل ثوابه ، ولكن المسلم ـ بنفس الوقت ـ لاينسى نصيبه من الدنيا ، إذ هي عكاز لابد منه لسفر طويل شاق .

واذا كان التصوف يعني الاعتدال والتوسط والتضحية ويرى الورع بُعد عن الشبهات والزهد عفة عما بأيدي الناس بل وبذل مافي اليد خدمة لهم

اذا كان التصوف يعني هذا فرسول الله ، وكرام أصحابه ، بل وجميع الذين يفخر بهم تاريخنا متصوفون ، إذ ابتاعوا الجنـــة بأموالهم وانفسهم ، وصمدوا امام مغريات الدنيا ومروا على قنطرتها كراماً اذ رأينا أحدهم (يغشى الوغى ويعف عند المغنم) .

أجل ، متصوفون بل قادة التصوّف إذ هو اكتفاء بضروريات الحياة وتحمل أعباء المجتمع ، فعلي بن ابي طالب مثلاً ـ رضي من طعامه بقرصيه ومن لباسه بطمريه ، وطلق الدنيا ثلاثاً ولم يضع حبل المجتمع على غاربه بل خاض غماره حرصاً على سيادة الشريعة التي جعلها الله للعالم سفينة نوح ، ولا عجب فالإمام يرى المسلم رجل دين ودنيا وروح وجسد وحرب ومحراب

لم يكن الناس بعهد رسول الله والراشدين يرون كلمة تصوف بل يرون عبّاداً ، زهاداً قراءاً ، خـــداماً للشريعة يستنبطون الأحكام بفهم عميق وينتجون ما يساير الأزمنة .

ولم يكن لهؤلاء العباد الزهاد ميزة إلا سيرهم في طريق الورع والاحتياط وتحملهم مالا يتحمله سواد الناس ، فقد سأل الامام علي الحسن البصري : ما صلاح الدين وما فساده ؟ فأجاب : صلاحه الورع وفساده الطمع . وسئل الخوّاص ـ وهو من اقطاب التصوف ـ عن زكاة المئة درهم ، فقال :

« على العامة درهمان ونصف أما علينا فبذل الجميع » .

فكأنه ـ رحمه الله ـ لا يرى على الخاصة زكاة إذ لا يكاد المال يدخل صندوقهم حتى يبيده سيف البذل في سبيل الله .

وكأن المتصوف يرى الاقتداء برسول الله وكرام اصحابه خاتمة المطاف ، ويرى الشريعة هي الحقيقة ، ويرى ما اطلع عليه حذيفة ليس اسراراً متعلقة بالتشريع بل اسئلة يوجهها حذيفة لرسول الله ويعرف من اجوبتها ما تنطوي عليه نفسيات المنافقين من اليهود زاعمي الاسلام اذ لم يكونوا يخفون على رسول الله

* * *

إذن ليس التصوف صولة على الشريعة بل محصور في دائرتها وطالما سمعنا اقطابه المخلصين يقولون ـ علمُنا مقيد بالكتاب والسنّة ـ بل أن المؤلفين المعتدلين منهم كصاحب كتاب « اللمع » يروون ادلة تصوفهم عن رسول الله وكرام اصحابه .

وقد تمسك بتلك الدائرة الإمام احمد بن حنبل وحذر ابو حامد الغزالي من مغبة الانزلاق ـ الاحياء ١ - ١١١ .

٣ ـ كلمة تصوف طارئة على تاريخنا

وسواء كانت كلمة تصوف مشتقة من الصوف او الصفاء او سوفيا «الحكمة» فانها لم تكن معروفة في العهد النبوي والراشدين ثم عرفت واراها مشتقة من أهل الصفة وهم من المهاجرين الذين اتخذوا صفة مسجد المدينة مكاناً يتدارسون به بعض الليل ويغادرونه نهاراً للجهاد والعمل الحر ، وقد وصفهم احد الشعراء بقوله :

تَمِتُ العبيد من الخشوع عليهم لله ان ضمتهم الأسحـــار
فاذا ترجّلت الضحى شهدت لهم بيض القواضب انهم احرار

ولم تكن هـذه الكلمة تعني الانقطاع والرهبنة وحرب الجسد بل تعني زهداً وورعاً وبُعداً حتى عما هو خلاف الأولى .

٤ ــ التصوف بعهد الملكيات المطلقة

اطل عهد الملكيات المطلقة فانقلب كثير من المفاهيم وتضاءلت فضيلة التوسط وغزانا عفريت المبالغـة والغلو ، وشرعت يد التصوّف المغرق تمتد ، واصبح ذوو النظر البعيد والفهم السليم قلّـة مـنزوية ، واعترانا داء الأمم التي ترى التصوف انقطاعاً وعزلة وإعلان حرب على الجسد .

ثم أطل القرن الخامس الهجري ، ورأى جراحنا التي خلّفتها حمـــلات الغرب الطامع ، وما كدنا نضمد بعضها ، حتى رأينا من كوارث صولات المغول ماجون بجانبه صولات الغرب .

وكأن فقد الزمام من يد العرب وتفكك ديارهم وخسارتهم الأندلس ضاعف ما كان سائداً بينهم من المفاهـــيم الصوفية التي تسللت من الفكر العالمي لاسيما البوذي .

اطل واطل معه ــ علاوة على الاخفاق السياسي ــ ما ينتشر بين المخفقين ، إذ يلجأون للعزلة ويتسلون بالخيال ويتعزون بأحلام المستقبل .

اي فقدنا دولة الارض فتسلينا بدولة خيال ذات اقطاب واوتاد وانجاب نقيمها وننظمها ونرفع رايتها لكنها لاتخيف عدواً ولا تطمئن مظلوماً .

أطل واطلت معه فتنة القول باغلاق باب الاجتهاد فتضاءل عدد الفقهاء واخذت دولة التصوف ترفع اعـــلامها وشرعنا نرى امراء وملوكاً ومحسنين يقيمون ما يشبه الاديرة البوذية ويدعونها تكايا وزوايا وخانقاهات ، تضم قوماً لايعرفون من الفقه واسرار الشريعة إلا ما أعرفه أنا من السنسكريتية ، ويتمتعون تحت ستار الزهد او العبادة بما لم يتمتع به سواد الشعب من حطام الدنيا .

اصبحت تلك المؤسسات وسيلة للهزيمة من نظـام الجندية فانتسب لها الكسالى والاعضاء المشلولة والهاربون من معترك الحياة وارتدوا مادعـوه (خرقة التصوف) التي نراها منقولة عن نظام الطواقي الصفر والحمر البوذي . واسند العامة لذوي الخرقة كثيراً من الكرامات والبركات فتمتعوا بمكانة شعبية وتأييد جماهيري جرأهم على حرب الفقهاء وعزل الولاة وتحدّي الملوك بل اصبح كبار الفقهاء والولاة والملوك يفخرون بتلقي ما يدعونه العلم اللدني عن اؤلئك المنزوين الذين لايعرفون ابسط قواعد العربية .

٥ ـ التصوف في العصر التركي : السلجوقي والعثماني

تضاعف بهـذا العصر جمود الفكر الفقهي المنتج فدارت التآليف حول محور الشروح والتعـاليق والحواشي والاجوبة عن أسئلة مفروضة واصبحت دراسة الفقه سُلماً للصعود للوظائف والمناصب فانتشرت الخرافات والاوهام وكاد يتوارى آخر شعاع لدراسة الشريعة فقهاً وحـديثاً وتفسيراً وسيرة نبوية بل تكاثر عدد اللذين يلتحفون الثوب الباطني المعلوم ويرون التكاليف الشرعية ساقطة عنهم او يتهاونون بالصلاة زاعمين انهم ادوها بالاماكن المقدسة وشجع السلاطين والولاة هـذا النوع من المفاهيم ومنحوا زاعميها ثوب ولي ينفق من عالم الغيب او (من تحت السجادة !) .

أما إذا سار أحدهم عارياً وردد كلمات : المريد السالك ، النقباء ، النجباء الغوث ، التواجد ، الغيبة ، الذوق ، الوله ، الرياضة ، المجاهدة ، التجلي ، علم اليقين ، عين اليقين ... وتمرد على جباة الدولة ، واقترف مالا يختلف الفقهاء بتحريمه وأعلن ان كلمته واجبة الاطاعة ولو تعارضت مع النصوص الشرعية واهان من وجّه له كلمة نصح واحتقر الفقهاء ونعتهم بالجامدين وبأهل الظاهر وعبّاد الحرف الذين لايعرفون معنى الشطحات ولا يستطيعون تأويلها وحملها على محامل حسنة ، ولا يدرون ان الصوفي يذكر في مكان ما رأياً غامضاً ثم يفسره بمكان آخر من نفس الكتاب كقول ابن عربي ملغزاً :

يا مَن يراني ولا اراه كم ذا اراه ولا يراني

وقوله مفسراً :

يا من يراني مجرمـاً ولا اراه آخـذا
كم ذا اراه منعماً ولا يراني لائـذا

ولا يدرون ان الاشتغـال بالذكر والتواجد افضل من الاشتغال بدراسة الفقه !!

أما اذا وصل أحـدهم الى هذه المرحلة فهو لدى العامة وعميان الولاة ليس ولياً فحسب بل قطب او غوث تستثني الدولة امـلاكه من الأموال الاميرية ولا تتصرف إلا بتوجيهه واطلاعه واذنه (١)

٦ ـ التكايا ، الزوايا ، الخانقاهات ، الخلوات

الى جانب حياة المتصوفة الباذخة بعصر كان فيه العاجز عن دفع القليل من الأموال الأميرية يخسر ارضه .

رأينا مكاناً صغـيراً في التكية او الزاوية او الخانقاه يدعى « خلوة » ينقطع به شخص للعبادة والتفكر صائماً (لغة واصطلاحاً عن الكلام والطعام).

وقد كثرت هذه الخلوات لاسيما في العهد التركي العثماني ، وحدثنا الشيخ عبدالغني النابلسي عن ٥٠ ـ ٦٠ خلوة في زاوية الدرداشي «القاهرة» وحدها وذكر ان بعض المتصوفة يتخذ الخلوة في بيته وبعضهم يتخذها في غار (٢) .

٧ ـ تأثير البوذية المباشر بالفكر الصوفي المغرق

علمنا ان كلمـة «صوفي» لم تكن تعني في عصورنا الأولى ، من لبس المرقعات وقبع في المحاريب بل تعني الزاهد الورع الفقيه ، ولكن ما ان انتشر بيننا الفكر القديم لاسيما البوذي ، حتى رأينا التصوف قائماً على قواعد جلها ليس من صنع ثقافتنا وعقائدنا وهي خمسة :

١ ـ تاريخ الجبرتي ٢ - ٩٦ و١٢٧ و١٧٣ و١٩٣ و١ - ٣٠٣ و٣٠٥ و٤ - ٢٠ و١٣٠

٢ ـ رحلة الشيخ عبدالغني النابلسي ص ١٣٩ و١٤٠

١ — الصلاح ٢ـ الفقر ٣ـ زي الصوفية ٤ ـ عدم الاشتغال بحرفة ٥ ـ مخالطة المتصوفة (١) وقد اضاف ابو حمزة الصوفي البغدادي لهذه الصفات قوله :

الصوفي الصادق (يذل بعد العز) وقد فاته ان عز المسلم اجتماعياً يرادف الايمان!

ولا يخفى ان هذه الشروط دخيلة على الإسلام إذ هو لا يدعو للفقر ولا يحرم المهنة ـ بل يوجبها ـ ولا يفرض زياً خاصاً .

وهذا ـ دون ريب ـ من تأثير الذين دخلوا الإسلام حاملين الفكر القديم إذ رأينا بعضهم يسلك نفس الطريق التي سلكها بوذا ، بل ان بعض مسلمي خراسان البوذي الأصل يدخلون في التصوف فكرة الانقطـــاع فيصعدون الجبال ويهبطون الاودية ويسكنون الكهوف كل هـذا باسم التصوف والعبادة الزهد (٢) .

لقد اصبح الانقطاع من حينذاك غاية التصوف وخاتمة مطافه بل اصبح دريئة نبال رجال الفكر والائمة والمجتهدين وعلماء الكلام ورجال الاصلاح .

أجل ان الانقطـاع وحرب الجسد باسم التصوف ليس من وارد العرب والإسلام بل من تأثير الأمم العريقة في الفكر الصوفي فابراهـــيم بن ادهم مثلاً كان ولي عهد يقضي وقته بالمرح والصيد والتمتع بالثروة وحظوظ الجسد ولكن ما ان استجاب نداء التصوف حتى أعطى فرسه للراعي واخذ مرقعيّة الصوف كما فعل بوذا تماماً (٣) .

إذن للتصوف المغرق أعراق تضرب للأمم القديمة ، وكل ما لم يعترف به الإسلام مما نراه الآن يلتحف ثوباً هـــو مما يضرب لتلك الأعراق ولكنه تسلل لبيتنا من نوافذ التأويل مشفوعاً تارة بحسن النية كما نرى في تراجم الجيلي وابن عربي والرومي والسهروردي وتارة بسوء النية كما نرى في رسائل اخوان الصفا ومن دار في فلكهم من الباطنيين والفِرق المتطرفة (٤)

---

١ — الاحياء ٢ - ١٥٣

٢ — التصوف الاسلامي الدكتور زكي مبارك ج ٢ طبعة ثانية ص ١٥

٣ — الرسالة القشيرية ص ٨ وانجيل بوذا ص ٢٥

٤ — الفتوحات المكية ٤ - ٦٦٣ واخوان الصفا ١ - ٢٦١ و ٢٩٩

ومن الانصاف ان لا ننسى تأثير الفكر اليهودي والرهبنة والفكر اليوناني إذ لما نقرأه عن عبّاد بني اسرائيل ورهبان العصور الأولى والوسطى علاقة تشير باصبعها لذاك التأثير .

فمحاربة الزواج التي نراها في الصوفية المغرقة معدومة الجذور الإسلامية لأن الاسلام لا يرحب برؤية محاربيه وجذور هذا معروف لدى الأمم القديمة لاسيما الصابئة الذين كانوا يبالغون بهذه الحرب حتى الاستخصاء

وعلى هذا فما نجده في التصوف المغالي مثل (من تزوج فقد ركب سفينة وان ولد له فقد غرق) ليس من بضاعتنا الاسلامية العربية وقـــد افاض المتصوفة المبالغون في هذا الموضوع ودعموه بقصص لاتمت لنا بصلة .

٨ ــ مصدر الطرب والموسيقى لدى الصوفية

في التقاليد العبرانية : لقد كان داود مغنياً أو إمام المغنين وكان يسقط مئات اوصلها بعضهم الى اربعة حين سماع شجى الحانه !

وفي التقاليد اليونانية : كان فيثاغور يسمع ألحان الكواكب !

وكأن غلاة المتصوفة وواضعو أسس التصوف المغرق المتطرف استعذبوا هذا اللون وشرعوا يسيرون وراء العبرانيين واليونان وما زالوا يجدون السير حتى ادخلوا الغناء والموسيقى والالحان لحلقات الذكر كتكملة للعبادة واقتدى بهذا المتصوفة اخوان الصفا

واكثر الطرق الصوفية تمسكا بالالحان هم المولوية إذ اصبح الغناء لديهم كنوع من العبادة نقطة اختلاف بل مشادّة بين المتصوفة والفقهاء واشهرهم في ما ارى ابن القيم في كتابه « مدارج السالكين » .

أجل لقد أخذ التصوف المبالغ عن الأقدمين كثيراً .

٩ ــ الحـــب

هذه كلمة أخذت لدى البوذيين حقولاً ثم تسربت لليهود فرأينا الأسونيين (قبل المسيح) يتغنون بها .

ثم رددها رهبان المسيحية الواقفون عند حدود الحرف اذ لم يدروا ان المسيح نفسه يرى الذين يعيشون حشرة على اجسام الشعوب ومن ساعدهم في مهمتهم من تلك الشعوب نفسها ليسوا جديرين بالحب والتقدير بل يرى حتى التظاهر بحبهم خلقاً من اخلاق المنافقين .

فبيلاطس مثلاً الذي كان يهدد المسيح معتمداً على صولته ودولته وولايته واستعانته بالرومان لم يره المسيح اهلاً للحب بل رد عليه بكلمات قاسية ووصفه بالثعلب إذ هي اللغة الوحيدة التي لايفهم الطغاة وخدام الاستعمار إلا بها

على كل حال تغنى الذين يجهلون اهداف المسيح بالحب المطلق ووقفوا عند سور (احبوا اعداءكم) فردد صداهم المتصوفة (وبعضهم يعود لذاك الأصل) وقالوا بلسان ابن عربي :

ادين بدين الحب انّا توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

وما زالوا يبالغون بالحب حتى اندفعوا لوحدة الوجود فزعموا ان محبة كل جميل حب الله الكامن فيه ثم زعموا ـ دون خجل ـ ان حب الجسد باب يفضي لحب الله .

١٠ـ الانبثاق الازلي

هذه عقيدة افضت لعبادة الله حالاً او متجسداً او متجلياً او متحداً وقد استقاها الغلاة وتعاورتها كتبهم سلباً وايجاباً .

١١ـ الاباحة والشيوع

هذه امراض تسربت من «ماني» الفارسي و«ديوجين» اليوناني وقد نفذ لها الغلاة بقولهم «لو لم تذنبوا وتستغفروا لخلق الله قوما يذنبون ويستغفرون» .

وهذه نكسة شطر الفكر القديم ارادها الباطنيون المتوارون بالتصوف وربما عدنا لهذا الموضوع بمناسبة أخرى .

لقد غزانا هذا الوباء بعصور غفلتنا وانحطاطنا فشرعنا نرى التحالف بين

اساطين الباطنية كاخوان الصفا (١) ، والصوفية المتطرفة (٢)ونرى الذين كشفوا اهداف الباطنية البعيدة (٣) .

لقد التقى هؤلاء حتى بترديد كلمات : شريعة حقيقة ، ظاهر ، باطن، فذكرونا بـ (كلمة حق أريد بها باطل) .

١٢ وحدةالوجود

هذه ليست بوذية الأصل إذ لا جذور لها في انجيل بوذا وقد اصبحت بعد بوذا ذائعة ومدعمة بنصوص من الرامايانا إذ جاء في الرؤيا الثامنة :

١ ان الله هو مد الخلود وجزره حيث العمل والعامل واحد .

٢ ـ يقول الله للعقل : أنا هو الكائن فما العالم إلا بصري وما الصور والمواد والجواهر الا عناصري .

* * *

هذان النصان مما تسرب للفكر العربي من تركات الهند والصين وفارس واليونان وقدماء المصريين .

وقد انس بهما جماعات ترى الله روحاً يسري في الكون فكأنه المـــاء يختلف لونه باختلاف الأواني ، أخذت وحدة الوجود وقتاً كبيراً من الفكر العربي ورأينا قوماً يقصرون جهودهم على التمسك بهـا والنظرة لها والدفاع عنها نثراً ونظما ومن هؤلاء الشيخ محي الدين بن عربي الاندلسي دفين دمشق .

ثم انتقلت فيما انتقل ـ للغرب واشهر حاملي رايتهـــا من الفلاسفة ـ باروخ سبينوزا ـ الفيلسوف اليهودي المعروف .

١٣ ـ الحـــلول

للمحكم والمتشابه في الكتب الدينية بحث جدير بالاعتناء والتمحيص فظن له

١ ـ اخوان الصفا ج ١ ص ١٧٥ و١٧٩
٢ ـ راجع الفتوحات المكية ٤ ـ ٦٦٣
٣ ـ راجع مدارك السالكين ١ ـ ٢٧٥

اليهود واهمله شراح اناجيل المسيح لنفس الظروف التي اهمله بها شراح انجيل بوذا الذين بنوا عقائدهم على المتشابه دون المحكم (١) .

تسربت عقيدة الحلول من باب الاعتماد على المتشابهات فذابت في البوذية فرأى الشراح بوذا متحداً في برهما ورأوا الحقيقة فناءاً في بوذا او انسجاماً فيه .

ثم تسللت فكرة الحلول للفكر العربي ومن اشهر من تطوع للدفاع عنها ومات ضحيتها :

١٤ — الحلاج

ذهب الحلاج للهند الصينية « السند » وعاد يرى الله حالاً بالرسل ويرى ارواح الرسل حالة بمريديه ولذا اطلق عليهم : آدم نوح ابراهيم موسى عيسى محمد كما اطلق ابن ابي عون (٢) على احدى تلميذاته « فاطمة الزهراء » ، واعلن الحلاج قبل موته انه سيعود للحياة بعد ثلاثين يوماً قائلا :

« لاتصدقو الذين يظنون اني متّ »

نقل ما سينيون في ديوان الحلاج كثيراً من الافكار التي تدور حول محور الحلول منها ما جاء نظما لكلمة الحلاج « سبحاني » مثل :

أنا أنتَ بـــلا شك — فسبحانك سبحاني
واسخاطك اسخاطي — وغفرانك غفراني
ولِمْ اجـــلد يارب — اذا قيل : هو الزاني

كان الحلاج اذا سمع القرآن يقول : « يمكنني ان اقول مثل هذا ويرى الله منتقلا في الصور لأن عباده لايطيقون رؤيته في صورته التي هو عليها

ويرى العلم والتهذيب وسيلة للارتقاء الى مقام المقربين ومن ارتقى حلّ به روح الله واصبح فعله فعل الله .

---

(١) راجع المتشابهات في انجيل بوذا ص ١٥٧ و١٥٩ و١٨٠

(٢) راجع ترجمته في شذرات الذهب ٢ - ٢٩٣ و٣٥٨

قتل الحـــلاج عام ٣٠٩ هـ ولكن اصحابه أنكروا موته ورأوا المقتول شيطاناً ارتدى ثوب الحلاج كما ارتدى ثوب أبي مسلم الخراساني .

وهكذا ذاع الحلول بين العرب مـذ اتصلوا بالبوذيين إذا ما كاد يتم تخطيط بغداد حتى توافد لها البوذيون والحلوليون والتناسخيون والزرادشتيون الواقفون عند حروف النور والظلمة او الضد وضده وشرعوا يحاولون خلع اردية اسلامية او عربية على معتقداتهم ، في بغداد نادى المقنع الخراساني قبل الحلاج بالحلول والتناسخ وصرح بان الله تحول لصورة آدم وامر الملائكة بالسجود له ثم تجسد نوحاً ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ثم ابا مسلم الخراساني، عم المقنع نفسه .

وفي بغداد نادى الشلمغاني (١) : تجلى الله في آدم وابليس بآن واحـــد ليظهر الضد والضد (٢) وظهر الله في خمسة ناسوتين هم : صالح ونوح وابراهيم وهارون وداود وخمسة ابالسة هم : عاقر الناقة وكنعان ونمرود وفرعون وجالوت

وفي بغداد طلع احمد بن سابوس على الناس بقوله : ان ارواح الزناة تحل بعد موتهم في البغال (٣) .

وفي بغداد سمع الناس بعد ترجمة الكتب اليونانية نقـــلاً عن فيثاغور ان روح الله تحل بانسان فتجعله اكبر من انسان واصغر من إله وعلموا ان امبيذ وقليس يشتمل على روح إله .

ومن بغـداد شرعنا نرى الله تارة حالاً بالائمة كجعفر الصادق وطوراً بالملوك كابي جعفر المنصور .

ومن بغداد انتقلت فكرة الحلول للمغرب والاندلس فسمعنا شاعراً يستقبل عبيدالله المهدي بقوله :

---

(١) راجع ترجمته في الشهرستاني (٢) راجع (المتآلهين والمتنبئين) لفارس كيلاني
(٣) الفارابي ينفي الضد في مقدمة المدينة الفاضلة كأنه يرد على الشلمغاني

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح

وسمعنا محمد ابن هاني (متنبيء المغرب) يقول بمدح المعز :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

بعض الأمم القديمة إذا ما أرادت رفع شأن أحـــد ابطالها خلعت عليه ثوب الالوهية فيضاً او اشراقاً او انبثاقاً اي رأت نوراً من علة العلل فاض عليه أو أشرق أو رأته عقـلاً مجسداً منبثقاً من الله قبل الدهور ، كانبثاق المصباح الثاني حين يمسه المصباح الأول .

استطار القول لدى العرب بانبثاق العقل فرأوه بكر الخليقة والواحـد الذي انبثق من علة العلل مذ الازل وتصوره الفارابي وقد فاض منه ثان وثالث ... وحادي عشر وقد نعت هـــذا بملك الوحي « جبريل » وبالفعّال وواهب الصور القائم بالخلق والايجاد وإدارة الكواكب ، وفاضل الفارابي بين العقل الفعال والعقل بالفعل والعقل بالقوة والمنفعل والمستفاد ، بل رأوا الخلود له وحده ورأوا الخليقة منبثقة منه .

ثم اخذ بحث العقل دوراً رئيسياً فدعاه قوم بالسابق الذي يزور هذا العالم تارة ملاك وحي « جـــبريل » وطوراً نبياً وطوراً فيلسوفاً وطوراً صحابياً وطوراً شخصاً يقوم بوظيفة « سكرتير » للآله الذي جاء متجسداً أحد خلقه وظهر لخلقه كخلقه .

بعض تأثير البوذية
في الاب العربي

اخذت البوذية حقلاً واسعاً من الأدب الهندي فاحتفظ حول (راما) وحده بخمسة وعشرين الف بيت وقد عرف العرب هذه الثروة قبل اوربا(١) واستطارت على السنة الشعراء ، ومن الشعراء والحكماء العرب الذين تأثروا الى حد بعيد بالبوذية المعري الذي عاش خمسة واربعين عاماً لا يأكل إلا النبات وكثيراً ما سمعناه يطري طريقة الهنود بحرق موتاهم كقوله :

حرّق الهند من يموت فمازا روه في روحة ولا تبكير
واستراحوا من ضغطة القبر ميتاً وسؤال لمنكر ونكير

* * *

إذا حرق الهندي بالنار نفسه فلم يبق لحم للتراب ولا عظم
فهل هو خاش من نكير ومنكر وضغطة قبر لايقوم لها عظم ؟

وكأن أبا العـــلاء استعذب عمل الهنود وتمنى لو طبق نظامهم على جسده فقال :

لا تكرموا جسدي إذا ما مسني ريب المنون فلا كرامة للجسد

ولا ريب ان اطراء الحرق والاحجـام عن تناول اللحوم والحض على محاربة الزواج يخفي وراءه من التأثير الهندي في نفس ابي العلاء مايخفي .

---

(١) راجع مجلة المقتبس ج ٦ مجلد ٥ ص ٤٤١

ويظهر انه اعرض عن فكرة الحض على محاربة الزواج وتناسى قوله :

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

وعاد في ختام الحياة مردداً :

دنياك دار كل ساكنها متوقع سببا من النقل

والنسل أفضل ما فعلت بها واذا سعيت له فمن عقل

أما بشار فثنوي ينظم بالعربية فهو مفتون بفعل المجوس الذين يتزوجون أصولهم وفروعهم ويفضل ابليس عـــلى آدم لأن الطين لا يسمو سمو النار ويضرب على وتيرته أبو العتاهية فيترنم بآلهي الخير والشر .

ونلاحظ التأثير الهندي مبعـثراً هنا وهناك في الادباء العرب إلا ان الثابت أن المسلمين عرفوا التفكير الهندي بشكل عميق واعجبوا بالحضارة والتراث والفكر القادم اليهم عن طريق الفُرسِ في معظم الأحيان وتحت شكل حكم وأمثال ...

الفصل السادس

اندماج البوذية

في الفرق الاسلامية المتطرفة

بدأ التفاعل بين الفكر العربي الأسلامي وعقائد الأمم القديمة التي اطلقنا عليها بوذية ، مذ صدر الأسلام . وقد أصبحت الكوفة منذ تأسيسهـــا نقطة الألتقاء الاولى إذ ما لبثت ان أصبحت بلداً صناعياً تجارياً جامعاً التقى بها دهريون وزرادشتيون ومزدكيون ومانويون ومندائيون «صابئة» ومن هـذه العناصر كلها تشكلت الباطنية واثمرت بتوالي الأجيال التصوف المغرق والفِرق المتطرفة .

في الكوفة ولاول مرة في التاريخ الأسلامي رأينا قوماً يفهمون عقيدة التناسخ (١) من تفسير آيات « او كالذي مرَّ عـــلى قرية وهي خاوية على عروشهـا ... فأماته الله مئة عام ثم بعثه » « ألم ترَ الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف ... فقـال لهم الله موتوا ثم احياهم » « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمم امثالكم » .

وينقلون عن البوذية وسواها فلسفة الاشراق والفيض والتجسد والتأنس والناسوت واللاهوت ليقيموا عليها الوهية علي بن ابي طالب .

في الكوفة ولآول مرة عرف العرب القول بالتناسخ وشاهدوا طلائع تأليه الإمام علي موضوعاً بقوالب شبه فلسفية تشير لانتقال الألوهية من شخص لآخر.

وفي الكوفة ولأول مرة عرف العرب قوماً يرون إباحة زواج الأصول والفروع من النساء وقوماً يقولون : (كل ما يحدثنا به قلبنا هو وحي والدين طاعة رجل واحـــد ولكل تنزيل تأويل ولكل ظاهر باطن والجنة نعيم الدنيا والنار شقاؤها . وقوماً يستترون بالسحر والشعوذة (٢) .

إذن فالباطنية التي استترت بالتصوف المغالي والفرق المتطرفة ذات اصل

---

(١) للتوسع في دراسة وتطور عقيدة التناسخ راجع الملطي ص ١٤٨

(٢) التبصير للاسفرايني ص ١٨
والعقد الفريد ٢-٤٠٥ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر
وخطط المقريزي طبع بولاق ٢ - ٣٥٣
وفرق الشيعة للنوبختي ٣٤
وراجع تاريخ الطبري حوادث عام ٦٦ هـ

بوذي برهمي وفي الكوفة ، أقبل الناس لاول مرة على البوذية . وتسلّل العقائد البوذية ـ لاسيما التناسخ ـ للفكر الاسلامي ادى الى قيام فرق عديدة ندعوها اليوم متطرفة .

لقد اخذت هذه الفرق اسماء كثيرة كالكيسانية والخطابية والبيانية وكلها تحوم حول التناسخ وهكذا أصبحنا نرى ماخوسية وبهائية و. . . أما الفرق التي تدور في محيط الشبك مثل الكاكائية ، والباجوان ... فكلها موجودة للآن في العراق الشمالي .

١ ـ الفرق المتطرفة

هي الفِرق التي أسست مذ عصرها الأول على زاوية باطنية سواء كان تأسيسها قديماً كالاسماعيلية الآغاخانية وكالماخوسية (الجنبلانية) التي اشتهرت قديماً بالنصيرية وحديثاً بالعلوية اوليس قديماً كالبهائية وسواها من الفرق التي أسست حديثاً ولا تزال ضيقة الانتشار كالشيخية والرشتية .

والفرق التي أسست كطرق صوفية او مؤسسات اجتماعية او عسكرية كالآخية والصفوية والعدوية ثم مستها يد الغلو فانقلبت فرقاً دينية باطنية واخذت اسماء :

الشبك ، الكاكائية ، القزلباش ، اليزيدية ، الصاروليّة ، الباجوان ...

لهذه الفرق آراء متشعبة متغايرة وتجتمع بنقاط منها :

١ ـ إعطاء النصوص الاسلامية معانياً سوى المتبادر منها والاستدلال بالآيات والاحاديث النبوية استدلالاً بعيداً عن الواقع .

٢ ـ عدم القيام باركان الاسلام العملية او قياماً ملتوياً كصوم اليزيدية وحج الشبك .

٣ ـ بوجوب الكتمان واحترام القبور والمزارات والحلف بسوى الله والنذر لسواه .

٤ ـ بالقيام ببعض الشعائر الاسلامية كصلاة الجنائز وعقود الزواج والأسماء الاسلامية

٥ ــ بصرف نصوص الجهاد عن معانيها الظاهرة .

٦ ــ بعبادات وترانيم مستورة بعضها بالعربي وبعضها بالتركي او الكردي او الفارسي « كالكلبنك » .

٧ ــ بعبادة الله متجلياً او متجسداً او حالاً او مشرقاً ، ولذا ترفع هذا الفرق مؤسسيها لمصاف الآلهة وتعبدهم بصفتهم إله متأنس وتتناقل كراماتهم او معجزاتهم او عجائبهم وترى موتهم في ما يبدو للناس اذ هم احياء حياة لا هوتية بعضهم بالشمس او السحاب ، بل تراهم زاروا هذا العالم مراراً ولا بد ان يزوروه ليدينوا الناس .

٨ ــ بمحاولة التشكيك والاستنتاج من مقــدمات غير سليمة فاذا اراد بعضها اقامة الدليل على الالوهية المتجسدة ساق قصة شجرة وجبل موسى وختم حديثه قائلاً :

لماذا يتجسد الله بشجرة ويتجلى عــلى جبل ولا يتجسد انساناً ويتجلى على كرام الناس ؟

٩ ــ بالاصطلاحات الفلسفية المعروفة لدى البوذيين وسواهم مثل :

علة العلل ، معل علة العلل ، تجلي ، اشراق هيولى ، طبائع ، فيض ، عقل اول ، عقل ثاني ، نفس كلية ، ضد روحاني ، ضد جسماني ، عناصر اربعة : لاهوت ، ناسوت ، عقل كلي ، عقل ازلي ، واهب الصور ، نوراني ، شعشماني ، عقل سابق ...

١٠ ــ بعقيدتي التقمص والتناسخ الــتي نراها في انجيل بوذا ولكن بعض هذه الفرق يكتفي بالتقمص اي انتقــال الروح من انسان لإنسان وبعضها يرى : النسخ والفسخ والرسخ والمسخ وبالاعتماد على السحر والطلاسم والزايرجة والقول بتأثير الافلاك في الحوادث .

١١ ــ بتحريم مصاهرة سواها .

١٢ ــ بأخــذ ايمان مغلظة ممن فهموا شيئاً من اسرار الدين تحول دون البوح بها .

١٣ — بالنهي عن النقاش حول العقائد .

١٤ — بترديد اشعار معلومة في مجالس العبادة .

١٥ — بفهم البعث والنشور من زاوية التناسخ .

١٦ — بالاعتقاد بأن شريعة الرسول محمد بن عبدالله قد انتهى امرها وجاء مؤسسو هذه الفرق بما هو أفضل منها .

١٧ — بالاعتقاد بان مؤسس هـــذه الفرقة سيعود متجلياً ليقوم بدور محاسبة الناس .

١٨ — بالالتقاء عند نقطة الظـــاهر والباطن او بنقطـــة ثالثة هي (لا ظاهر ولا باطن) .

نقاط يلتقي بها بعض الفرق

دون بعض

١ ـ يلتقي الآخائية والقرامطة بالاعتقاد بان الرسل يدعون نطقاء وان اسماعيل ابن جعفر آخر النطقاء وقد نسخ شرائع من قبله .

٢ ـ يلتقي الإسماعيلية الآغاخانية والبهائية بالاعتماد على الحروف والاستدلال بالاعداد والتعارف باساليب خاصة .

٣ ـ يلتقي الماخوسية والآغاخانية والشبك بعقيدة التجليات والاعتماد على كتب مخطوطة قديمة مكتومة .

٤ ـ يلتقي الآغاخانية والبهائية بالاستدلال من العهد القديم .

٥ ـ يلتقي الماخوسية والآغاخانية بالاعتقـاد بان الملائكة يتقمصون انساناً وان الشيخ حسن شمس‌الدين هو جـبريل الذي يوحي للرسل ويلهم الفلاسفة وهو حي خالد هيولى العالم وواهب الصور وباحترام هرمس وفلاسفة اليونان .

٦ ـ اليزيدية يقولون « الشيخ عدي تحمل عنا الصلاة » والبكطاشية يقولون « شيخي يصلي عني » يلتقيان بهذه النقطة وباتخاذ الكنايات والرموز والطلاسم والتعبير عن شخص بآخر إذ صيانة الاسرار وكتمانهـا لدى جميع هذه الفرق أمر جوهري .

٧ ـ يلتقى الماخوسيون مع اخوان الصفا باحترام الاعياد الفارسية كالنيروز وينفرد الماخوسيون باحترام سواه من اعياد الأمم كالروم مثلاً .

هاهي النقاط التي تلتقي بها هذه الفرق وقد ينفرد بعضها بعـدة عقائد يتميز بها عن سواها ...

٢ ـ انفرادات اليزيدية (١)

١ — ينفردون بتحريم أكل الحمس واللوبيا والسمك والغزال والقرع .
٢ — بتقديس البصل .
٣ — بعدم الغسل بالحمام وعدم التبرز في بيت خلاء .
٤ — بعدم تلفظ كلمات :
شيطان ، ابليس ، شطن ، رجم ، لعن ، طرد ، ابلس ، خسيء ...
٥ — بتقديم العبادة لسبعة آلهة ثانويين علاوة على آلهي الخير والشر او النور والظلمة « اهرمن ويزدان » .
٦ — بعدم محبة أهل البيت النبوي بل والشماتة بمصائبهم اذ يظهرون الفرح بأول شهر محرم لأن يزيداً (الإمام) ظفر بالخارج على الطاعة والنظام « الحسين بن علي » .
٧ — بتحريم القراءة والكتابة إلا على شخص واحد بالقرية ويشترط ان يكون من ذرية حسن البصري .
٨ — بغمس اطفالهم بماء مبارك من بركة الشيخ عدي (٢) الواقعة في قرية باعذرا
٩ — بصيام ثلاثة ايام من كانون الأول (٣) .
١٠ — بالحض على زواج القريبات (ليس الأصول والفروع) .
١١ — بتحريم دخول المساجد وتحريم سماع القرآن .
١٢ — برؤية الشيطان المدعو (طاوس ملك) بكر الخليقة كلها أي انه اول المخلوقات
١٣ — برؤية الملائكة يتقمصون شيوخ اليزيدية ورؤية الشيخ حسن شمس الدين حالاً بالشمس .

---

(١) لكل انفراد تعليل يلجأ له معلموه حين النقاش

(٢) هو عدي بن مسافر البقاعي الأموي المرواني مؤسس الطريقة العدوية التي انقلبت يزيدية ، بعضهم يراه إلهاً ازلياً وبعضهم يراه مستشاراً لله وبعضهم يراه انساناً لكن اكبر من الانبياء والرسل .

(٣) هذا مافي المراجع ولكن الذي ينزل قرام ويخالطهم يراهم يصومون ١٩ و ٢٠ و ٢١ من آذار ويعللون صيامهم بان الثلاثة ايام تساوي ثلاثين لان الله يقول في القرآن : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها »

٣ ــ انفرادات الماخوسية

١ ــ تنفرد بعـدم كره عبد الرحمن بن ملجم لأنه خلص الناسوت من اللاهوت واطلاق كلمة مكلّب او كلب رفيع الدرجات على مرافقي الدعاة وبعدم اعطاء العقيدة الدينية للنساء وبعدم تناول لحم مطلق انثى وبالقول بدرجات التقمص الخمسة وبالقول بعدم قتل الحسين بن علي إذ قتل عوضاً عنه حنظلة وشبّه به .

وبالاعتقاد بان الصلاة والصيام والزكاة والحج هي اشخاص فمن ردد اسماءهم سقطت عنه الفرائض وبرؤية سيدنا «محمد وعلي وسلمان» ثالوثاً يرمز له بـ (م س ع) وباطلاق كلمة فاطر على فاطمة الزهراء واطـــلاق كلمة صامت على من يدعوه الاسماعيليون اساساً .

٤ ــ انفرادات البهائية

١ ــ التصميم على هدم مكة والقدس .

٢ ــ رؤية العام ١٩ شهراً والشهر ١٩ يوماً .

٥ ــ انفرادات الكاكائية

١ ــ احترام الحجاج بن يوسف الثقفي والكاكائية كلمة كردية تعني اخوة

٦ ــ التقاء فرق العراق المعاصرة بالغلو بمحبة اهل البيت

جميع فرق العراق ـ إلا اليزيدية ـ تلتقي بـ :

١ ــ الغلو بالإمام علي بن ابي طالب وابنائه الائمة وبترديد كلمة « الحسين مليكي وعلي آلهي » في نهاية الاجتماعات المقدسة .

٢ ــ باحترام الايام الـــتي تذكّـر بمصائب أهل البيت النبوي كالعشر الأول من المحرم .

٣ – بزيارات مقامات في قراهم يخالونها مقامات الائمة .
٤ – برجم قبر بصفته قبر عبيد الله بن زياد .
٥ – باباحة الخمرة .
٦ – بغسل الأموات وتكفينهم ودفنهم دون صـــلاة مكتفين بترديد اسماء اهل البيت .

٧ – انفرادات القزلباش والباجوان

ينفرد القزلباش باحترام بعض الأشجار والشمس والقمر والينابيع ، أما الباجوان فينفردون بتعظيم اسماعيل (١) .

٧ – التهمة المشتركة = ليلة الكفشة

يزعم بعض العامة بل وبعض الذين يحشرون أنفسهم في زمرة البحاثين ان لهذه الفرق ليلة حمراء يمثلون بها « تحت ستار الاجتماعات الدينية » ما يخجل القلم من تسطيره .

وهذه (دون ريب) خرافة قد تكون منقولة من التهمة الـــتي كانت توجهها بيزنطية لرهبان وراهبات النساطرة وتدعوها (ليلة الماشوش) والحقيقة براءة النساطرة وهذه الفرق كلها من هذه المفتريات .

٩ – جذور هذه الفرق

ليست هذه الفرق المغالية عربية ولا عراقية الأصل إذ لا تزال جذورها في ايران وافغانستان وقد هبطت العراق بقرون متفاوتة تحمل جـذور الغلو ولعله أثر من أثار عقائدها القديمة .

---

(١) بعض المندائية « الصابئية » يحترمون اسماعيل بن ابراهيم وبعض الباجوان يحترمون اسماعيل بن جعفر وكثيرون من هؤلاء وهؤلاء يحترمون اسماعيل ولا يدرون أهو ابن جعفر او ابن ابراهيم .
ولعل احترام الباجوان لاسماعيل بن جعفر من تأثير دعاة الاسماعيلية الذين نراهم لعام ٣١٣هـ يغزون بغداد نفسها
راجع ؛ تاريخ المنتظم لابن الجوزي ٦ ـ ١٩٥ لترى ترجمة الكعكي الداعية الاسماعيلي مثلا

ثم تغذي غلوها هذا بالاتصال « بقونية » حاملة راية الطرق بالعصر التركي : السلجوقي والعثماني وتشترك هـــذه الفرق بالجهل السائد والتأخر، الاجتماعي فالامية تفتك بهـــا ، أما الثقافة لدى رؤسائها : (البابا والبير والرهبر والقوّال) فتكاد تكون مقتصرة على اشعار بكطاشية مشحونة بالغلو ، بل ان كارثة الجهل تفضي للاعتماد على البابا ليطبب المرضى ومن عجز عنه حُمِل للمقامات المقدسة وتلي عليه حـــديث الأربعين وهو مدح بالائمة منظوم بالتركي والفارسي والكردي .

١٠ ـ الكتب المقدسة عند الفرق

للبزيدية كتابا « الجـلوة ومصحف رش » وللشبك كتابا « البويورك وكلبنك » أما سواهما من الفرق فلا تعتمد على كتب . إلا ان تأثرها بالتصوف البوذي أمر لاجدال فيه . فما هو هذا التأثير ؟

١١ ـ التأثير الصوفي

هذه الفرق قامت في الأصل على توجيه صوفي صادف شيئاً في نفوسها متسلسلاً مع الأجيال ثم أخذ دفتها الانكشارية الذين اصبحوا موجهين تحت راية طريقة « حاجي بكطاش » فانتشرت بينهم كلمات :

« الحقيقة ، الباطن ، الأقطـــاب ، الاوتاد ، المرشد ، الدادا ، الشبلي ، الرهبر ، القوّال ...

وإذا علمنا ان كلمة الحقيقة مترجمة عـــن البوذية ، ادركنا التأثير العميق الذي تركته البوذية في هذه الفرق وسواها من الفرق المتطرفة التي لاتزال عاكفة على تركة ابن عربي وجلال‌الدين الرومي وسواهما ممن لانزال نرى قبورهم محجاً . وآن لنا الآن ان نرى شيئاً من تأثير البوذية المباشر في فرقة ما من هذه الفرق المتطرفة .

١٢ — تأثير البوذية المباشر في الطريقة المولوية

كان جـل الترك قبل الاسلام يعتنقون البوذية وهي ترى الرقص باسم الدين طقساً من طقوسها ، وما ان دخلوا الأسلام حتى شرعوا يتذكرون ما رسب في النفوس من عقائد وطقوس الآباء والاجداد . ولذا رأى التاريخ في العهد التركي السلجوقي مدينة « قونية » عاصمة للتكايا والزوايا والطرق الصوفية التي تمت بصلات قوية للجذر البوذي الذي نراه كامناً في كتاب «المثنوى»

وصاحب هذا الكتاب جلال الدين الرومي المتوفي بقونية في القرن السابع للهجرة هو كتاب ضخم مؤلف من ٤٢ الفاً من الابيات المغرقة في وحدة الوجود والحلول وقد اذاع ان رسول الله قال لأبي بكر :

« الله راضٍ عنك فهل أنت راضٍ عنه » . وقد فرح ابو بكر برأي جلال الدين بلذة هذا الاستفسار ودار حول نفسه .

أخذ جلال الدين من هذه الرواية الموضوعة دليلاً وجعلها أساً للطريقة المولوية

ومن شاهد هذه الطريقة الآن وما تشتمل عليه من البسة بيضاء مرحرحة يتخللها الآلات الموسيقية والالحان الشجية ، تذكر الحفلات الدينية التي لايزال يقوم به (اللامات) حتى الآن في « لهاسا » وسواها من الديار العامرة بالبوذية بل تذكر ان الرقص باسم الدين طقس قديم عرفه الإنسان مذ عرف عبادة الكواكب فدار حول نفسه تقليداً للكواكب التي تدور حول أمها الشمس .

كان الملوك والصدور العظام تلاميذ المولوية بل كانت مشيخة المولوية تقلد السلطان السيف في حفلة البيعة التي تقام بجامع خالد الانصاري « ابي ايوب » بصفة تلك المشيخة وارثة مجد السلاجقة سلف بني عثمان .

انتشرت المولوية حيث خفق عـلم آل عثمان واصبح لها فروع وزوايا واوقاف تكاد تساوي الاوقاف الخيرية وما زالت بانتشار واقبال حتى قضت عليها الحركة الكمالية عام ١٩٢٥ ثم جاءت الانظمة التي اصدرتها الحكومة السورية بعهد الشيشكلي تجهز على ما بقي للمولوية في سورية ولا سيما في حلب عاصمة المولوية الثانية .

جمدت الحركةالمولوية وضم اكـــثر اوقافها للاوقاف الخيرية ولا تزال تكيتها الوحيدة في لبنان قائمة على هضبة مطلة على نهر ابي علي من طرابلس كأثر يدل على مجدها السابق .

١٣ـ حفلات المولوية ، واشهرها حفلة ٢٧ رمضان

يجلس الشيخ في زاوية خاصة على جلد يحيط به التلامذة يرتدون الثياب البيضاء الطويلة الفضفاضة ويعلو رؤسهم طاقية طويلة من لباد تدعى « كلاه » .

ثم يحلّق الذاكرون ومنهم المنشدون والمرددون والعازفون والنافخون بالناي

وبعده يقبل مقـدّم التلاميذ ويحني عنقه أمام الشيخ مستأذناً فاذا بادله انحناء العنق عاد وشرع يدور مع اخوانه التلاميذ الدوران المتقن الجميل آخذاً بعض ثوبه بيده اليمنى ثم يطلقها في الفضاء حتى نهاية الحفلة .

حتى اذا انتهى الشوط وقف القوم لأخذ بعض الراحة وارتفعت اصوات المنشدين والملحنين فاذا عزموا على الاستئناف أقبل المقدم مستأذناً من الشيخ فاذا لم يجده انحنى أمام الجلد وعاد مستأنفاً .

١٤ـ البكطاشية

الحاج بكطاش الاردبيلي من مدينة اردبيل العريقة في البوذية ، التقى مع جلال‌الدين في نقطة وحـدة الوجود والحلول وتبع طريقته كثيرون من الانكشارية وهم كما يقول عنهم المؤرخون «مسلمون قانوناً لا عقيدة» فأصبحوا للمولوية والبكطاشية شيوخاً واقطاباً وروساء وتسرب عن طريقهم كثير من العقائد الكنائسية كالثالوث والعماد والغفران والعشاء الرباني ... وسواها من العقائد التي لاتزال منتشرة في فرق العراق لا سيما الشبك ـ كما سيأتي :

وهكذا اصبحت المولوية حفلة من حفلات « لهاسا » يقيمها العرب والترك ويمثل « شيخ المولوية » دور رئيس اللامات .

١٥ — أثر البوذية على الماخوسية

معلوم ان بوذا كان ينتدب من تلاميذه من ينشر افكاره في ديار بعيدة وأنّا لنرى بعين التاريخ مبشري البوذية يجلون سورية مذ ٢٣ قرناً .

وقد أثر الفكر البوذي في سورية وسواها مذ القرن الأول للمسيح وأخذ هذا التأثير الواناً متعددة .

فالانقطاع عن الدنيا باسم الزهد والعزوف عما بها من مطالب الجسد افكار بوذية أخذت بعد المسيح بنحو اربعة قرون صورة رهيبة ثم تسللت بالتلاقح الفكري الى المحيط العربي الاسلامي فشاهد التاريخ في القرن الرابع الهجري قوماً في الجبل المعروف الآن بالجبل العلوي يعبدون الله متجسداً بعلي بن ابي طالب

على ان اولئك القوم لا يكادون يساوون عشرة بالمئة من السكان ويميزون باسم « جنبلانية او ماخوسية »

١٦ — الطريقة الجنبلانية

هاجر من العراق لحلب ومدن الساحل بين القرن الرابع الهجري والسادس موجة كبيرة ترقى لأشهر القبائل العربية .

في تلك الموجة قوم يرون محمداً بن نصير النميري باباً للإمام الحسن العسكري(١)

ما كادت هذه الموجة تلقي رحالها في سورية حتى برز بينها شخص يدعى « محمد الجنبلاني » نسبة لبلد فارسية تدعى « جنبلان » يؤسس طريقة صوفية يشتق اسمها من اسمه وينشر بين تلاميذه مامعناه :

« محمد رسول الله كالشمس تشرق على العالم فتهبه الحرارة والحياة ، أما الإمام علي فكالقمر يستمد نوره منها » .

ثم يأخذ بالشرح والتقريب حاذفاً اداة التشبيه باسم التشبيه البليغ قاصداً تأليه عليّ .

ثم عرف الجنبلانيون هؤلاء باسم «ماخوسيين» نسبة لاحدى قرى اللاذقية

(١) يقول النوبختي عن ابن نصير هذا : آخر الغلاة ، راجع فرق الشيعة ص ٩٣

وأصبح لهم بتوالي القرون بضع كتب مخطوطة عاشت مكتومة حتى هذا العصر من اشهرها كتاب « الأعياد » وهو مؤلف من نحو ثلاثمئة صفحة بالقطع الكبير واسلوبه وقواعد النحو والامـلاء فيه تشير لعصور الضعف والركاكة بل والقلم الأعجمي او الأمي الذي انشأه

لقد وجد الجنبلاني في الجبل الذي آوى القداح والحشاشين وابن نصير ارضاً انبتت القلة الجبنلانية التي تعاصرنا ثم جاء العصر التركي والناس على دين ملوكهم فخال السواد الجاهل كل من في الجبل قداحياً او حشاشاً او جنبلانياً .

كتاب الأعياد هذا يكاد يصرح بصلته بالبوذية إذ به نصوص كثيرة تشير الى تلك الصلة وان جاءت باسلوب جديد منها :

١ – «وصلواته الزكية وتحياته الرضية على نوره المخترع وحجابه المبتدع القائم بكل نبوة ورسالة وصاحب كل دعوة ودلالة » .

٢ – « به يهتدى الى توحيد الأزل ومنه يستدل على وجود عـلة العلل لسانه الناطق في عباده » .

٣ – « ازل الأزل ، معل علة العلل ، الظاهر الوجود الباطن بلا عمود الظاهر من عين الشمس القابض على كل نفس » .

وكتاب الاعياد ينادي بالوهية الإمام علي ويرى رسول الله في حادثة الغـدير يصرح بالالوهية لعلي ولم يصرح بالبيعة كما فهم المسلمون السنيون والشيعة !

١٨ – راموز من هذه الفرق

تحدثنا عن النقاط التي تلتقي بها الفرق وعن انفراداتها ولنتحدث الآن بشيء من التفصيل عن اشهرها :

١ – الـــيزيدية

ينتسبون ليزيد بن انيسة الخارجي او يزيد بن معـــاوية او يزدان آله الشر الفارسي .

لا يرون الصلاة واجبة بل الواجب طهارة القلب وصفاؤه ويستعيضون عن الحج

بزيارة قبر الشيخ عدي والشيخ حسن ويستعيضون عن الزكاة بما يقدمونه لحاملي السناجق الذين يطوفون القرى لجمع الصدقات كمتسولي البوذية .

وللصوم لديهم شروط قاسية منها : يجب على الصائم ان يفطر على خبز مغموس بالملح وان يعرض نفسه على الرئيس الديني (القوال) ليتحقق من صدقه وصحة صيامه .

٢ — المرشديون

هؤلاء فرقة حديثة من جسم الجنبلانيين ومحل عبادتهم غرفة يزين جدرانها صور سليمان المرشد ويعتقد هؤلاء بالوهية احد ابنائه .

٣ — الآغاخانية

ساروا مع الشيعة الامامية حتى الامام الصادق ثم سلكوا طريق إمامة او نبوة اسماعيل بن جعفر وذريته وما زالت الامامة بهم متسلسلة محفوفة بالقداسة حتى مرت بملوك او خلفاء الفاطميين ، فوقف قوم عند الحاكم وسار آخرون حتى وصلوا لمعاصرنا كريم الدين الإمام التاسع والأربعين ويرونه محاطاً بالاشراق والحلول الالهي الموروث .

٤ — البهائية

هذه فرقة ايرانية حديثة التأسيس ترى مؤسسها (علياً بن محمد الشيرازي) باب الامام المنتظر الذي يحمل علمه وينقل رأيه .

وما زال البهائيون يرون بالمؤسس وخلفائه حلولاً إلهياً حتى آلت الرئاسة لشوقي بك بن عباس افندي فأعلن البراءة من عقيدة الحلول وتمسك بما بقي منها

يرى البهائيون (كسواهم من الفرق) للصلاة والصيام والحج والزكاة والشهادتين بل وحد السرقة ... معاني غير ما يتبادر للناس .

٥ — الرشتية

مؤسسها كاظم الرشتي المتوفي عام ١٢٩٥ هـ وخلاصتها : ان جبريل كان يأتي رسول الله بالوحي بعد الاستئذان من علي .

٦ — الشيخية

مؤسسها الشيخ احمد زين الدين الاحسائي المتوفي عام ١٣٠٦هـ وخلاصتها :

ان مروان بن الحكم حين كان ينال من الإمام عـــلي فوق منبر المدينة المنورة ، سمع صوتاً يقول له :

« كذبت والذي خلقك وهو علي » !

٧ — الشبك

يرون في الشبكية ديناً جديداً ويقولون بألسنتهم : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ولكنهم يرون الله ومحمداً وعلياً ثلاثة اقانيم تساوي إلهاً واحداً يرمزون له بالحروف (أ م ع) .

والشبك ومن يدور في فلكهم من فرق العراق ليلة معلومة يجتمع بهـا طالبو الغفران النادمون التائبون المعترفون بما اقترفوا .

يجتمعون في بيت « البيراوالرهبراوالبابا » ويرددون دعاء معلوماً يستهلونه بكلمة اخطأت و يطفئون الأنوار ليأخذ كلٌّ حظه من البكاء والندم .

وما هي الا فترة حتى يأمر الرئيس الديني باعادة الانوار وينثر النصائح والمواعظ ويمنح الغفران مستثنياً حقوق الناس فقط .

وهنا ينقلب البكاء والحزن فرحاً ويتناول التائبون طعاماً مقدساً وعشاء ربانياً ـ خبزاً وجبناً وخمراً وينصرفون مرنمين (ابياتاً من الكلبنك) .

ويظهر ان الغفران لدى الفرق التي تزاوله يمنح مجاناً او بعوض محدود وهو من صلاحية مطلق رئيس ديني الا لدى الصارولية إذ لايمنح الغفران الا شخص من اسرة تتوارث هذا الحق تجاه مال معلوم وصك يُحمَلُ كزاد لما بعد الموت .

وهناك حفـلة لدى الشبك تشبه حفلة العماد اذ يزور البير او الرهبر او البابا بيت اب الطفل الوليد ويدعو ويرنم من الكلبنك وتختم الحفلة برقصة وتناول لحم كبش وخبز وخمر . ورؤساء الشبك الدينيون كثيراً ما يزورون منازل المؤمنين ويباركونها بالماء المقدس ...

١٩ ـ المغالاة في تقديس شيوخ الطرق

الغلو هو عدم التوسط مدحاً او قدحاً وطليعته في الفكر العربي ذهاب بعض الغلاة للقول بألوهية الامام علي بن ابي طالب وانكار موته ودفنه في الارض اذ الآلهة لاتموت بل وقيل فيه : ان الرعد صوته والبرق سوطه .

ثم جاءت طبقة من الغـــلاة ترى خلود حياة ابن الحنفية وترى الحلول والتجسيم ومن اشهرها الخطابية .

لقد كثرت فرق الغـــلاة فبلغت عشرات برأي ابن حزم والجرجاني والشهرستاني والبغدادي ومئات برأي المقريزي ثم توارت تلك الكـثرة من عالم الواقع وتقمصت اسماء جديدة .

ورغم نداء صاحب خطط الشام (١) بان جميع قدماء الغلاة اصبحوا في طباق الثرى لايزال بعض المستشرقين يتحدث عنهم كموجودين (٢) .

لقد تسلسل الغلو عـــبر الاجيال فرأيناه في العصر التركي متجسداً في (قونيه) عاصمة الطرق والفرق ، ويبدو هذا الغلو واضحاً في تقديس شيوخ الطرق فجلال الدين الرومي مثـــلاً لم ير نفسه يتلقى وحياً ولكن تلاميذه او تلاميذهم من بعد كتبوا بترجمته : «هو ليس رسولاً ولكن له كتاب».

وحالة كهذه تكثر بها الروايات وترويهـا المبالغات ويتكاثر الثناء على الشيخ ويطلق عليه لقب (الامام) ثم يضاف لها (الوقت او الزمن او العصر) ويردد صغار المريدين (من عرف الشيخ دخل الجنة) و(من لا شيخ له شيخه

(١) محمد كرد علي : خطط الشام الجزء السادس ص ٢١٥

(٢) الفريد جيوم ؛ الاسلام ص ٢٩ وغيره كثيرون

الشيطان) ويذاع بينهم تفاسير مختلفة لكلمات شريعة ، حقيقة ، طريقة ، معرفة ... ولا يزالون عاكفين على تفسير هذه الالفاظ بما يحلو لهم معلنين حرباً على من حاول تقويمهم حتى يروا انفسهم اتصلوا بالله بل عرفوه واتحدوا به .

وفي هذه النقطة نفسها يلتقون مع البوذيين ولكن يفوتهم الوقوف عند حدود قانون بوذا ويفوتهم معرفة جوهرته المثلثة ويفوتهم قتل الأنا الكامن في نفوسهم ! .

وهنا يبلغون نهاية مرحلة المبالغة ويعلنون (من عرف الله سقطت عنه الفرائض (١) و(الشريعة قشر والحقيقة لب) ويسندون لمؤسس الطريقة ماشاؤا من الخوارق وما هي الا عشرات الأعوام حتى نراهم فرقة تشتق اسمها من اسمه ...

٢٠ ــ دور اخوان الصفا في تكوين الفرق

الدور الممتد من منتصف القرن الثاني الهجري لمطلع الرابع يدعى بالتاريخ الاسماعيلي دور الستر .

في هـذا الدور رأينا جمعية سرية تلتحف بلحاف التشيع لذرية اسماعيل وتنظم نفسها كقيادة ودعاة وجنود .

اطلقت على نفسها اسم « اخوان الصفـــا » ونظمت نفسها سبعة صفوف او درجات او مراتب لاينتقل الطـــالب المستجيب للثانية إلا اذا اثبت كفاءته في الأولى .

ربطت تلاميذها بعهود ومواثيق ومقويات وتهديدات كي يعيش الطالب عمراً ولا يدري ماذا يدور في الصف الذي يليه .

الصف الأول والثاني توجيه سياسي .

الصف الثالث :

ان نور الله يشرق عـــلى مختاريه فيصبح لهم دراية في معرفة المستقبل ومن اشرق عليه هذا النور اصبح إلهاً بالاشراق دون ان ينقص من نور الله شيء !

(١) الملل والنحل لابن حزم طبع الادبية عام ١٣٢٠ هـ ج ٣ ص ١٨٨

الصف الرابع :

لله وحيان : الفلسفة والشرائع يفسران بعضهما واذا اختلفـــا ينبغي الاعتماد على الفلسفة .

الصف الخامس :

الامام من ذرية اسماعيل وارث علم النبوات مخصوص بعـلوم خفية هو العقل الفعال والكلّي والكلمة والنفس الكلية وهو المتصرف بالشريعة .

لا يحتاج طبيعة روحية أو جسمانية لانه عين الحقيقة وما الرجعة الا ظهوره بشكل جديد اذ سيأتي باشكال آخرها الاتحاد بالله لانه (الإمام) الواحـد مهما تعددت صفاته وادواره يراه الناس انساناً كما يرى المريض الحلو مراً هو إله من إله نور من نور فاض من الله قبل ان يكون شيء اسمه ليل او نهار .

الصف السادس :

الجهّال او الظاهريون محجوبون بحجاب الشريعة متمسكون بالنصوص الناموسية ، عاملون بظاهر الشريعة ، كالصلاة والصوم والحج والزكاة هم اطفال عميان وقفوا عند حدود الحرف لايدرون انّ لما يزاولون ويعتقدون معانياً أخرى.

الصف السابع :

الوضوء والطهـارة يعني التحرر من التكاليف الناموسية والصلاة صلة بين العبد وربه والصيام انقطاع عما لايليق والزكاة ان لا يملك الرجل الا تزكية نفسه والحج زيارة الاحباب والجهاد جهاد النفس .

☆ ☆ ☆

ومصادر اخوان الصفاء ـ دون ريب ـ مستقاة من أمم شتى في رأسها البوذية فهم مثلاً اخذوا الشيوع من مزدك وماني وديوجين واخذوا السابق والثاني من الزرادشتية وعنوا بهما الهي الخير والشر واخذوا العقل والنفس من الانبثاق عن أمم كثيرة جداً واخذوا مجيء الآلهة بادوار مختلفة من الأمم التي تعتقد التناسخ وفي رأسها البوذية اذ رأوا بوذا يزور هذا العالم نحو اربعماية مرة باشكال مختلفة !

أما عدد السبعة والسبعون والادوار البرهمية والطاوية التي ترى العالم يمر بثمانية عشر الف دورا بين كل دور ودور سبعون عاماً والعام كألف سنة . فذات مصادر متعددة

ملائكة بالقوة وبالفعل

النفوس الطاهرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت الاجسام اصبحت ملائكة بالفعل والنفوس الخبيثة شياطين بالقوة فاذا فارقت الاجسام اصبحت شياطين بالفعل.

وعلى هذا بنى اخوان الصفا ومن تأثر بهم وصنفوا الناس ملائكة وشياطين وقد سبقوا الناس جميعاً بتعابير (نوراني ، نفساني ، جسماني روحاني ، شمشماني) ولهم رموز مكتومة واسرار عميقة حرصوا على كتمها حتى كانوا يكتبونها بالحميرية بل نرى لتفسير ارائهم التي جاءت برسائل متعددة ، رسالة خاصة .

* * *

وهكذا عرف الناس عن طريق اخوان الصفا اصطلاحات جديدة وشرعوا يسمعون اسماء (الخرّمي وابن الراوندي والزوزني والطبروزي والفرغاني والكابلي والجنبلاني والاسداباذي والكرماني والديلمي والكنهوري والقزويني وسابور وزكرويه ومهرويه ... وسواهم ممن نقلوا للفكر العربي افكاراً سابقة في رأسها البوذية .

طرف من شعر الغلاة :

بكتب الأدب العربي والتركي والفارسي والكردي كثير من شعر الغلاة ولهذا اللون من الأدب عدا ميزاته العقائدية صفات ادبية رفيعة فهي منظومة بقلم صوفي رقيق واسلوب سلس ناعم ، سهلة الحفظ يتداولها حتى عامة الشعب ...

ومن المؤسف أنا لا نجد كتباً مخصوصة لدراسة هذا الأدب ولا أبحاثاً تهتم به الا ان الاستاذ احمد حامد الصراف جمع في كتابه «الشبك» شيئاً منه وهذا بلا شك عمل يشكر عليه .

يتفق هؤلاء الغلاة ، كما سبق ، بتأليه الإمام علي ، وتشيد قصائدهم بمكانته وارتفاع قدره وتسمو به الى مصاف الآلهة ، وفي ما يلي بعض القصائد الشبكية التي تشير لهذه العقيدة .

١ — من العربي :

في كفه الكافي مفاتيح الظفر لا بل مقاليد القضاء والقدر
في يده زمام فيض الأزل إذ يده العليا يد الله العلي
وكيف وهو خالق الاصباح في افق الارواح والاشباح
وقامت السبع العُلا بلا عمد باسم علي فهو خير معتمد
عليّ بشطر صفـــات الإله حبيت وفيك يدور الفلك
ولما اراد إلاله المثال لنفي المثيـــل له مثلك

* * *

كأني ازاءك والخلائق كلهم خرس ومافي الحشرغيرك ناطق
من قلت فيه خذوه عجل أخذه لم ينتظر ماذا يقول الخالق

* * *

مهبط الوحي معدن العلم والأف ضال لا بل مقدّر الارزاق

٢ — من التركي ماترجمته :

لقد تجلى الحبيب الرائع فخرج مدة من الطين وصار مدة نوحاً وطوراً خرج من فم النار ثم صار يوسف وتجلى نوره من يعقوب ثم صار موسى ثم عيسى وفي النهاية تجلى بشكل عربي .

٣ — من الفارسي :

عند ما رسمت الدنيا كان علي موجوداً . وعند ما وجد الدهر والزمان كان علي موجوداً ... وشمس الحق تبريزي هو علي .

* * *

هذا بعض من المنظومات وقد دعمتها قونية بقصص كثيرة متوارثة منها مثلاً :

حين صعد الرسول محمد الى السماء رأى اسداً فاعطاه خاتمه وحين نزل للأرض رأى الخاتم في كف علي . وهناك ايضاً رواية أخرى أغرب وتزعم انه حين نزل جبريل للأرض بلغ محمداً وحين صعد للسماء رأى محمداً نفسه يوحي .

ولا يخفى ما بهاتين القصتين من معان اذ تشبهان قصة الاله الذي تجسد تاجر الجمال السوري والإله الذي تجسد حارس اسواق القاهرة .

وهما قصتان من القصص الباطنية التأويلية ...

كلمة اخيرة

قد لانكون اوفينا الموضوع حقه من البحث والتمحيص ، خاصة ذلك التأثير العميق والواضح للبوذية والفكر الهندي بوجه عام ، على الفكر الفلسفي الاسلامي والفِرق الدينية العديدة التي نشأت ضمن الهيكلية الخارجية للدين الأسلامي والفرق التي تحدثنا عنها هنا ، بحثت من زاوية ضيقة هي مدى تأثيرها وتفاعلها بالمستورد الهندى الغني والرحب ، وهكذا فاننا درسنا الهامّ منها والاكثر قرباً وتشرباً للعقائد البوذية ضاربين كشحاً عن قربها او بعدها عن الوحدانية الاسلامية « الارثوذكسية » وروحها وتعاليمها .

ولعلنا في الجزء الثاني نخصص البحث الاشمل والأعمق لتأثير الروح البوذية في الأدب العربي وفي الفكر والفلسفة التي خضعت في مفاهيم عديدة للثوب الهندي تحت اشكال وألوان متباينة .

ثم ان الصوفية بغلاتها ومعتدليها وجدت في البوذية طقوساً شبه جاهزة ومعدة لمثل هذا النوع من التقرب لله . ان كل غوص في التقاليد والتفكّرات والشكليات والايمانية الصوفية يؤدي الى نتيجة مذهلة تبين الأثر الهندي والبوذي خاصة أمراً صعب التصديق من حيث الاهمية الكبرى والعيش بشكل آخر في متصوفي العرب والفرس والاتراك كما رأينا ...

واخيراً فاننا نوجز مرة أخرى ، نظرتنا للبوذية بين غيرها من العقائد الايمانية فنقول انها كالاديان كلها قامت في البدء على التوحيد وهذه الاديان تشكل وحدة كلية تتآلف عناصرها وتتكامل ولكل دين دوره في المجتمع الموجود فيه وتشكله حسب البيئة والتطور التاريخي للشعب المؤمن ... ولم نقابل بين البوذية والبرهمية والجانتية وغيرها من العقائد السائدة في الهند ، كل ذلك على أمل ان نخصص مثل هذه الابحاث لاسيما البرهمية للجزء الثاني ايضاً .

الجـــانتية

الهند عالم قائم بذاته حضارة وفكراً وآداباً وعقائد ، فاذا التفتنا اليه وجدنا من المذاهب مالا يُعَدُّ وكلها تنطق من واقع أليم وبيئة فقيرة تسودها الشعوذات والسحر ، وقد تتابع الكثير من الحكماء الراشدين يدعون للتدين والتمسك بنظام حياتي تغلّب عليه الصوفية والتسامي والارتفـــاع بالنفس والتخلي عن الحسيات ما أمكن ...

وهكذا ملأ الفكر الهندي لاسيا الروحي الدنيا واشغل الناس اذ البراهمة انفردوا بالسيادة قروناً ثم رأينا حكماء روحيين أمثال بوذا وماهافـيرا ولاوتسو وزرادشت يكرّون على ما طرأ على البرهمية بعـد عصر تأسيسها معدّلين محاولين اعادتها للأصل الروحي وحكماء اجتماعيين امثال كونفوشيوس ومنشيس يكرون عليها محاولين اعادتها للأصل الاجتماعي العادل المنسجم مع سمو اهداف التأسيس الاولى .

إذن هناك روافد اعترت البرهمية بعد عهـــد تأسيسها فكادت تطغي على الأصل السليم ، وكأن عناية الله امـدتها بجيش انقاذ حمل رايته اولئك المجددون الروحيون والاجتماعيون أو كأن البرهمية جسم سليم اعتراه بعض الأمراض لعدم العناية او لبعد العهـــد عن الطبيب ، فتداركه الله وامده باطباء مبشرين ومنذرين .

لقد اعترى البرهمية طوارىء تداركهـا محاولو الاصلاح متجسدين بوذا وماهافيرا ... ثم عاودتها تلك الطوارىء فجاءت الاديان السماوية الأخيرة مذكرة بالأصل وما أن حاولت الطوارىء تجديد الغزو حتى رأينا دعاة الاصلاح امثال كبير والغورورويانندا يحاولون العودة للأصل السليم وان سلك بعضهم طريقاً ملتوياً لانقرّه عليه ...

ولئن المعنا هنا لدعاة اصلاح او مجددين او حكماء آلهيين فانا نود تذكير

القارىء ببحوث تشكل زاوية تكاد تكون حتى الآن مهملة في الفكر العربي ، ونود عرضها والاطلاع عليها في الاجزاء الآتية .

على ان اشهر دعاة الاصلاح او الحكماء الروحيين الالهيين الذين زاروا الهند بعصر بوذا هو ماهافيرا الذي أسس ما يعرفه البحاثون باسم « الجانتية » فما هي هذه الجانتية ؟؟

ماهافيرا : ٥٧٢ ٤٨٠ ق م

اذا غابت الشمس ظهرت الكواكب ! جملة يرددها الهنود ويتوارثونها ويرسمونها لوحات في بيوتهم ومداخل منازلهم .

يعنون بها ان الاله الواحد هو الأصل ولكن الناس حين يعتري العشو ابصارهم بل بصائرهم يحرمون انفسهم من رؤية الإله الواحد ويعيشون في ظلمة كقوم فارقتهم الشمس وداهمتهم الظلمة فتعللوا بالشموع وخافت المصابيح .

تغنى ماهافيرا بهذه الجملة المأثورة وسخر بالاصنام بل تهكم عليها بقوله « سأعبد حجارة المطاحن بل سأعبد الجبل الذي قطعت منه تلك الحجارة » ...

سلخ ماهافيرا ثلاثين عاماً يدعو للوحدانية المطلقة المنزهة العادلة وينادي بالمساواة بين الناس ويصول على نظام الطبقات إذ يراه يتنافى مع العدل المطلق ، بل طالما ثار ماهافيرا وكره معلميه حين شاهدهم يفضلون الملوك على الناس .

كان لماهافيرا مهمتان هما : الوحدانية المطلقة وهدم نظام الطبقات ، وقد تبتل توصلاً لتركيز هاتين الدعامتين او لتذكير الناس بهاتين الدعامتين، وقد اثمرت دعوته فتكاثر اصحابه ورأينا الملايين في ارجاء الهند الفسيحة يعتنقون مبدأه ويضحون في سبيله ويتأبطون المعاول لهدم المعبودات المجسمة بل والصور التي تذكر بها .

* * *

انتقل ماهافيرا للنرفانا : (دار الخلود) فاطبقت التقاليد الموروثة بتوالي الاجيال على معتنقي تعاليمه واخذت بخناقهم واحاطت بهم التفاسير الملتوية والمفاهيم السقيمة فرووا ماعرفه جميع الناس حول عظمائهم وخالوا امه ترى مناماً يبشر به ورأوه زاهداً يترك القصر ويهوى حياة الرهبنة والتسول ، بل زعموا ان موته كان اعجوبة إذ احاط به الملوك والعظماء ثم غشيهم النعاس فاستيقظوا ولم يروه بل انغمسوا ـ كما انغمس سواهم ـ في التقمص والتناسخ ووحـــدة الوجود وتعـدد الآلهة وزيارتهم هذا العالم باجسام مختلفة وظروف متغايرة

وهكذا نرى في التقاليد التي طرأت على تعاليم ماهافيرا بعد موته جذوراً لافكار تعاصرنا كاحترام الشيطان او التورع عن لعنه وعبادة النبات والحيوان والايمان بالسحر والاحجبة والشعوذة والنحوس والخوف من الارواح الشريرة والشياطين والغيلان والمارد واتخاذ اجراس تطرق تارة لتدعو العابدين للصلاة وتارة لتوقظ الأرواح الطاهرة التي تخلت عن مزاولة عمل الخير او التوجيه له

وصفوة القول لقد احاطت الخرافات باتباع مهافيرا فأخذوا يبالغون باحترام الحيوان احتراماً للجزء الآلهي الذي يرونه حالاً فيه وينادون : لا تصعد من البر او البحر ، اكنس الطريق كيلا تطأ دودة لا تراها ، لا تحفر الارض لاتفلح لاتزرع كيـــلا تقتل حيواناً لاتغلِ الماء كيلا تموت الديدان واللبن حق الرضيع من الانسان والحيوان لاتشربه ؛ الحرير حق الدود لاتسلبه ، الموت جوعاً لقمة مقدسة عليك بها .

وهكذا تناقض عدد الجانتيين وتخلفوا ولا يزال اكثر كهنتهم عراة

---

(١) اتباع ماهافيرا يقـــال لهم الجانتيون ، اذ يلقبونه « جين» فاتح ويدعون قومه جانتيين وديانته جانتية .

عجالة سريعة للمقارنة

حول المصلحين الروحيين والاجتماعيين

١ — زرادشت

يؤمن بوحدانية الله المطلقة ويقول : انا نبي الآله الواحد يكلمني رئيس الملائكة ويؤمن بالجنة والنار والعدل الاجتماعي ولا يؤمن بالتناسخ والتقمص . كان اتباعه قبل الاسلام اصحاب فارس ثم تواروا فأصبحوا الآن لايتجاوزون مئة وعشرين الف نسمة جلهم في الهند ، اما عبادة النار فقد كانت سائدة بفارس ، قبله واما عبادة إلهي الخير والشر فقد طرأت على قومه من بعده .

٢ — لاوتسو

حكيم صيني يأمر بسيادة طاو ويعني قوة غير منظورة هي موجدة الأشياء ، وأصل حركتها ، يلتقي مع فلاسفة الصين واليونان بالعودة الى الفطرة والوقوف عند حد الغرائز التي تتخذ العقل مستشاراً ، ويفارقهم بعدم الموافقة على ان يصبح الفلاسفة حكاماً إذ يراهم يطبقون نظريات لا حظ لها من التجربة ويلتقي مع كونفوشيوس بكره الظلم وتحميل تبعاته للحكام .

٣ — كونفوشيوس ٥٤٨ - ٤٧٨ ق.م.

حكيم اجتماعي صيني يرى الاصلاح الاجتماعي يفضي للاصلاح الروحي ويدفع للاطمئنان والسلام ، اخذ زمام الدولة كوزير عدل فصفرت السجون وعاش الناس بهدوء ولم تر المحاكم مجرماً يرى التدين اصلاحاً اجتماعياً لامزاولة طقوس ويدفع سواد الناس لمراقبة الحكام ويقول (ان من الجبن ان ترى الحق ولا تقوله وترى الصواب ولا تفعله) .

٤ — منشيس

جاء بعد كونفوشيوس كمجدد لتركته يرى الإنسان خـــيراً بطبعه والتعليم والمعرفة والتوجيه السليم حصانة تحفظ له خيره إذ ليست مشاكله الا من فساد الحكام ولذا شن حرباً على الظلم الاجتماعي الذي اثمر الجهل والمرض والفقر والتمس عـــذراً لمرتكبي الجرائم وعللها بالفقر والجهل وطلب الغاء الجمارك وفرض التعليم الاجباري ، وله آراء قيمة في السياسة العامة والاقتصاد وبولي الطبقات الشعبية والفئات الكادحة الكثير من فكره ونفسه ...

قافلة المصلحين الاخيرة

١ — كبير

طفل برهمي القاه ابواه مذ اربعة قرون في اليم فالتقطه مسلم ورباه فشب ونادى بالعودة الى الوحدانية المطلقة وهدم نظام الطبقات ولكنه لم يتخلص من عقدة عقيدة التناسخ وعدم أكل لحم الحيوان واتباعه الآن مليونان !!!

٢ — الغورونانك

برهمي نادى بوحدانية الله وحارب الاصنام والطبقات واباح أكل اللحم على شرط عدم تعذيب الحيوان ولم يستطع التفلت من دائرة التناسخ .

عرف اصحابه بـ « السيخ ـ المريدين » لا يمشطون شعورهم ولا يدخنون ويضعون في ايديهم سواراً معدنياً يذكرهم بالله .

٣ — يانندا

ذهب مع ابيه لمعبد سيفا : احد الاقانيم الثلاثة التي يعبدها البراهمة بصفتها الآله الواحد ، فشاهد فأراً على صورة سيفا فقال لأبيه :

ألا يستطيع الآله ان يدفع الفأر عن نفسه ؟ فقال ابوه :

الكافر هو الذي يسأل عن هذا . ويانندا مصلح كبير وحكيم وصاحب نظرات فلسفية واجتماعية مثالية فارق البرهمية وحارب نظام الطبقات واتباعه الآن سبعون مليوناً فقط !!

تعليق على هذه اللمحة

يرى القارىء من خـــلال هذه اللمحة ، الانسانية مذ أقدم عصورها في الهند ـ وهي اعرق فكراً من سواها حتى من وادي النيل والفرات ـ يراها متفقة بعبادة الإله الواحـــد عبادة مطلقة منزهة عن الحلول والتجسد والتأنس والانبثاق وتعدد الجواهر .

ويرى جميع العقائد التي تتنافى مع تنزيه الالوهية امراضاً طارئة اعترت الانسان وعجز عن تطبيقها ولا يزال يرسف في قيودها وان اختلفت لديه التعاليل او حافظ على المعنى وابدل القافية ، إذ قد يكيّف الدين الواحـد بما يتناسب مع بيئته وموروثاته .

فالبوذية مثلاً واحدة مرجعها انجيل بوذا لا تأمر بعبادة شمس ولا ارواح ومع هذا نرى لها اوجهاً متعددة تختلف باختلاف الأقطار التي انتشرت بها فمثلاً بوذيو اليابان يخصون عبادة الأرواح والشمس بزاوية من معبدـــهم البوذي وسواد بوذيي الهند ـ وهي مسقط رأس بوذا ـ لايزالون منغمسين بنظـــام الطبقات الذي جهد بوذا لشفاء جميع الناس من جراثيمه .

* * *

وهكذا فقد الانسان بالهند ـ مذ ثمان واربعين قرناً على الأقل ـ المفاهيم السليمة حول الإله الواحد فاقتدى به مجاوروه لاسيما في اليمن ووادي النيل والفرات ، ثم جاء الحكماء الروحيون ينجدون الفطرة الكامنة ويحذرون من المرض الاجتماعي الذي يهدد المجتمعات من جراء المعبودات المتعددة ! فاشعلوا شمعة ما لبثت ان خفتت .

لقد حذروا من تعدد المعبودات ، ثم اصبحوا بعد قرون من وفاتهم من جملة تلك المعبودات !

فهرس الكتاب

صفحة	
٣	الاهـــداء
٧	البوذا السعيد بقلم المعلم كمال جنبلاط
١١	مقدمة الكتاب
١٦	الفصل الأول : ولادة بوذا ، بشارات الكهنة والمنجمين به والشارات التي يعرف بها
٢١	بوذا يخطب فتاة
٢٤	بوذا يفارق قصر ابيه ويودع طفله ليقوم بدعوة الاصلاح الكبرى
٣٢	الفصل الثاني : زهد بوذا واجتماعه وعلماء البراهمة
٣٤	بوذا يرفض الاقامة في بلاط الملك بمبيسارا
٣٥	تأثيره على بعض كهان البراهمة
٤٢	الفصل التالث : ايمان تاجرين ببوذا
٤٣	بوذا يتلقى الوحي
٤٥	ايمان الرهبان الخمسة والقانون الجديد
٤٦	رأي بوذا بالتناسخ
٤٨	بوذا يعود لزيارة ابيه ويرى زوجته وطفله
٥٢	الناس يدخلون في دين بوذا افواجاً ويرسل بعضهم مبشرين
٥٣	مثل المرأة التي سرقت الحلي
	الشيطان يجرب بوذا
٥٥	بوذا يبحث النرفانا
٥٩	بوذا يرى الإيمان هو المعجزة الوحيدة
٦٠	رأي بوذا في النساء
٦٤	الفصل الرابع : بوذا يغفر للمسيئين له
٦٤	مثل المرأة التي فقدت طفلها
٦٦	بوذا مات في الثمانين من عمره ووصيته الأخيرة

صفحة

٦٨ حرق الجثمان وتوزيع الرفات
٧٢ الفصل الخامس : خواطر وتأملات بوذية مترجمة
٧٥ تأملات في النرفانا
٧٦ تأملات في الموت
٧٧-٩٩ القسم الثاني : مختارات من الاناشيد والترانيم البوذية والفيدانتية
١٠١ العقيدة البوذية وأثرها في التصوف والفِرق الاسلامية
١٠٣-١٠٩ الفصل الأول : معنى بوذا ، عصره ، وحدة الاديان ، بوذا والوحي ، تلاميذ بوذا
١١٠-١٥٤ الفصل الثاني : الدين البوذي ، كتب بوذا المقدسة ، خلود الروح ، القضاء والقدر ، الأمل والرجاء ، لاطقوس في البوذية
١١٥-١٢٢ الفصل الثالث : التشريع البوذي ، اصلاح الأسرة ، الوصايا المقدسة ، لا تناقض ، لاطبقية ، عطف بوذا على الحيوان ، بوذا يشجع الزراعة ، الحث على العلم ، الحكمة والتسامح ، عدم الانقطاع عن الطيبات لارهبانية في البوذية
١٢٣-١٢٨ الفصل الرابع : الطوارىء الوثنية في البوذية ، القبور المعبودة اقتلوا الأنا ، الوصايا الخمسة
١٣٠-١٤٢ الفصل الخامس : معنى التأثير ومداه ، الاغراق بالتصوف ليس من الاسلام ، التصوف في القرن الهجري الأول ، كلمة تصوف طارئة التصوف بعهد الملكيات المطلقة ، التصوف في العصر التركي ، التكايا ، الزوايا ، الخانقاهات ، الخلوات ، تأثير البوذية المباشر بالفكر الصوفي ، الطرب والموسيقى باسم التصوف ، الحب ، الانبثاق الازلي ، الاباحة والشيوع ، وحدة الوجود ، الحلول
١٤٣ تأثير البوذية في الأدب العربي
١٤٥ اندماج البوذية في الفرق الاسلامية وانفرادات المتطرفين
١٦١ كلمة اخيرة ، الجانتية ، قوافل المصلحين ، تعاليق وخلاصات

الاخطـــاء

صفحة	سطر	الصواب
١٩	١٢	بوذا
٢٧	١٦	ياصديقي
٣٢	١١	وما
٣٢	٢٢	قال
٣٤	٨	يتتلمذ
٣٤	٢١	قرروا
٣٥	٢٢	ورأته
٤٢	٦	المقدسة
٤٤	١٤	شغاف
٤٥	٩	وتفكير
٤٦	٤	هائمة
٤٦	٢٣	لنعطيها
٥٠	٤	أردان
٥٤	٤	أحبك
٥٤	١٢	المعلم
٥٦	١٠	الحاضر
٥٧	٢٢	واعطاء
٥٨	٩	مستنير
٦٨	٦	ينقل
٨٥	١٩	تنبت
٩٢	١٣	ذو
٩٨	٧	شيء
١٠٦	٦	محاولو
١١٢	٨	كلا
١١٣	١٥	تطفي
١١٨	٩	ثمنالها
١٢٢	٧	وطب
جملة لقد كان وعظه في ص ١٢٥ انقلها لآخر ص ١٢٦ واقرأ بعد ص١٢٥ ص١٢٧ مباشرة بذلك يستقيم المعنى المقصود		
١٢٨	٢٢	المعروفة
١٣١	١٢	بُعْداً

وهناك بعض اخطاء لاتخفى على القارىء

مطبعة
الانصاف

ثمن النسخة ٣ ل.ل او ما يعادلها